REHAM KANAAN

رواية

رهام كنعان

ما أحلى الرجوع إليه



رهام كنعان

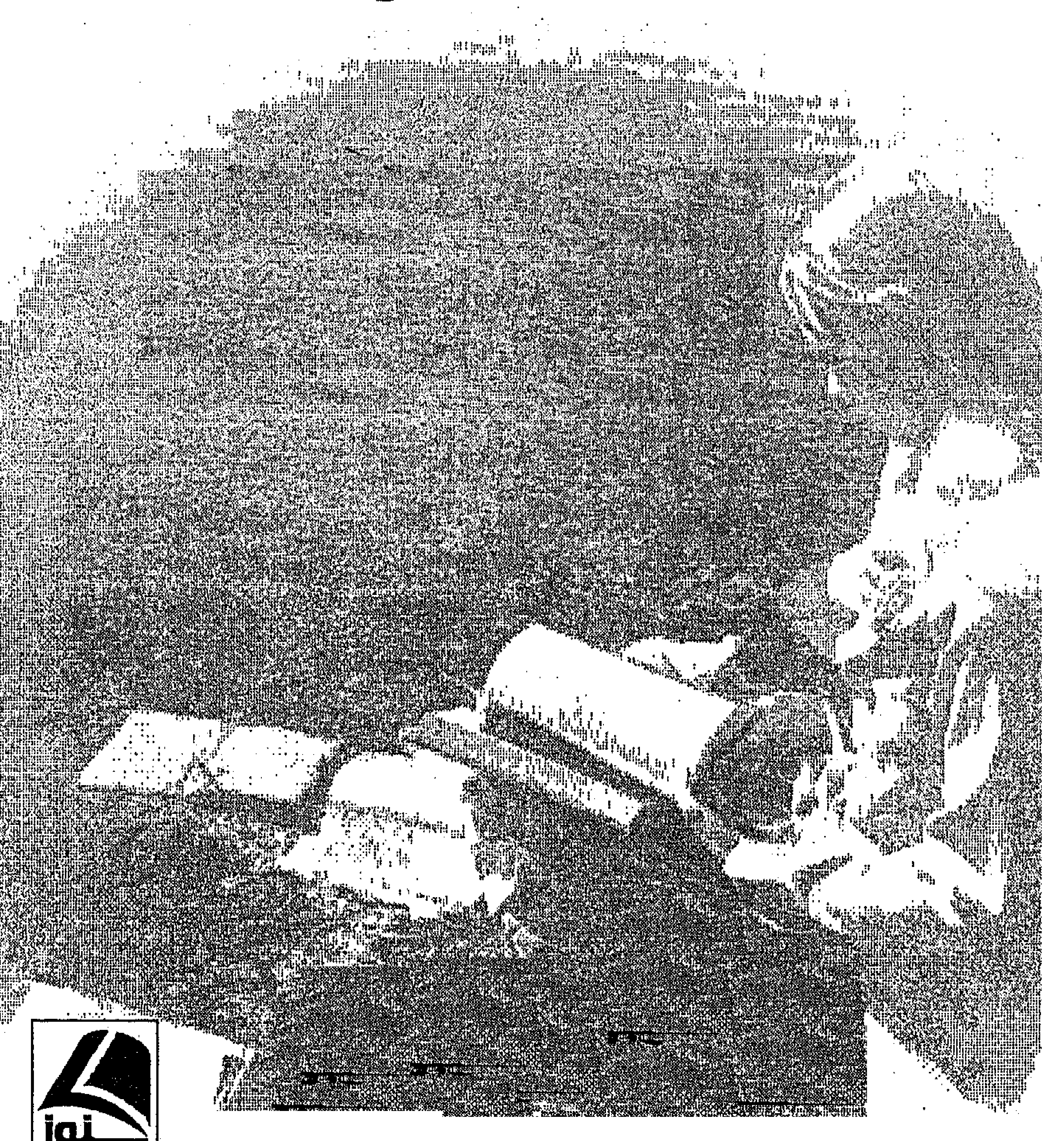
ر و ا ي ة

رهام كنعان

ما أحلى الرجوع إليه

رهام كنعان

ما أحلى الرجوع إليه



كنوز المعرفة

ما أحلى الرجوع إليه (رواية)
رهام كنعان

الطبعة الأولى
1436هـ 2015م



دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
ص.ب 712577 عمان (11171) الأردن
هاتف 4655 877 فاكس 4655 875 6 962+
dar_konoz@yahoo.com
E-mail: info@darkonoz.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني: محمد أيوب

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية:(2014/6/2636)
ردمك ISBN 978 9957 74 380 2

الإهداء

إلى أبي الذي لم أعرف لحنانه مثيلاً ، ولم أشعر بأمانٍ إلا بصحبته . . .

إلى أمي سبب سعادتي ، يا صلبةً حنونة ، كلّ الحب فيكِ ولكِ ، شكرًا لأنكِ أبقيتني على الدرب الصحيح ، شكرًا لأنكِ أنتِ . . .

إلى أختي وأخواني ؛ محظوظةٌ أنا بكم ، يا أجمل نعمةٍ في الحياة ، يا كل الدفء . . .

إلى من يقرأ هذه الحروف . . لم تكن روايتي إلا محاولة لتطبيب جرح!

رهام كنعان

لم أعد أحتمل أكثر . . .!

صدقاً لم أعد!

ها أنا ذا اليوم أبحث عن بداية الحكاية ، أبحث عن ذاك الوجع الذي قَطَنَ أطرافي ، أبحث عنه بجنون مميت . . .

أإلى هذا الحد أحببتني أنت؟ وأدمنتك أنا؟

أإلى هذا الحد آلمتني أنت؟ وآلمتك أنا ؟

هل فعلاً كنا كما قلت لي يوماً : «كلٌ منا وكأنه يحمل عود ثقابٍ ويحرق به قلب الآخر»؟

لماذا وصلنا إلى هنا؟ لماذا يا نسيم؟

لم أدرك يوماً معنى البكاء على الأطلال قبل هذه اللحظات ، لكنّي الآن أبكي عليها ، أبكي على أطلال قلبي الذي لا أدري إن كنتُ أضعته معك أم أضعته فيك؟ فلكم كنت جبساراً قوياً !

أتعلم؟ «لا شيء أقسى من الانتهاء» ، بالفعل لا شيء أقسى! اليوم وفي الذكرى السابعة للقائنا الأول ، قررتُ أن أكتبَ لك . . . سأكتب كل ما لم أستطع قوله ، كل الأسئلة التي لم أجد لها إجابات ، قصصنا وأفكارنا ، هنا قررتُ تخليد ذكرانا بِحُلوها ومُرّها ، هنا سأحتفظ بحبنا للأبد ، لربما يأتي ذاك اليوم الذي أعطيك فيه ما كتبت . . .

***

أتَذكُرُ عندما كنتَ تقول لي : «أنا لك وأنت لي يا مجنونة»؟
أتذكُرُ ماذا كنت أجيبك؟؟

كنتُ حقاً متيمة بك ، مفتونة إلى حد الإشباع ،لكن هل كنتَ لي حقاً؟ هل كنتُ لك؟

* يقولون : أن لكل شخص من اسمه نصيب ، فمتى تكون نسيماً يا نسيم؟ عرفتك دائماً عواصفَ تفتك بقلبي وتبعثر سكونه ، فحتى في لحظات سكونك ورومنسيتك كنت ريحاً!

* قال فاروق جويدة : «لقد كنتَ يوماً حب عمري قبل أن تهوى سوايَ» وكأنّه كان يعرف وجعي تماماً عندما اكتشفتُ خيانتك أول مرة ، وثاني وثالث ورابع ولا أدري إلى أي رقم سأصل؟! وفي كل مرة كنت تقول : «حبيبتي لا تشغلي بالك ، أنت عارفة ما لي غيركِ ودائماً أرجع لك»!

*غريبٌ أنت بكل ما فيك ، فالكل يسمّي محبوبته بأسماء معقولة إلا أنت ، أسميتني ((رجعتلّك)) ، هذا هو اسمي في هاتفك ، ففي كل مرة كنتَ تعود لي وكأنّي أول البدايات وآخر النهايات . . . ألم أخبركَ بأنكَ غريب؟! غريبٌ لحد يجعلك ثابتاً في داخلي لأبعد الحدود وذاك لأني ألِفت غرابتك وأصبَحَت جزءاً من حكايتنا الغريبة!

آه يا نسيم ، كم مرة حاولت أن أهرب منك؟ من تفاصيل حكايتنا المعقدة؟ لكني لم أستطع ، فكنتَ دائماً تغيب إلى حد معين وتعود لتغرقني بكَ من جديد ، وتقول : «لا أستطيع تحمّل فكرة بعدكِ ، يجب أن أشدّك لي باستمرار»

هل كان صوتك رائعاً إلى هذا الحد؟ أم أسلوبك؟ أم شخصيتك؟ أم

أنه القدر غرز حبك في قلبي منذ أول لحظةٍ سمعت صوتك فيها فأحببته أولاً؟

كان فعلاً يشبه النسيم ، عندما سمعته وتلعثمت وأنا أقول لك : «أرجوك لا تعاود الاتصال مرة أخرى ، الرقم خطأ ، أنا كنت أريد الاتصال بخطيبي وأخطأتُ بالرقم» .

كنتُ فعلاً أحاول الاتصال بصديقتي ، إلا أن الصدفةَ جعلتني أطلب الرقم الخاطئ ألا وهو رقمك فاخترعت قصة خطيبي خوفاً من شخصٍ لا أعرفه ، أقصد لم أكن أعرفه ، لم تصدقني يومها وشككت في الأمر وبقيت تحاول معي متجاهلاً كل ما كنتُ أقوله من أكاذيب وأرسلتَ لي : (أنا اسمي نسيم ، وعمري أربعةٌ وعشرون عاماً ، أنا مهندس ، وما صدّقتك!)

فأرسلتُ لك وكانت هذه أول مرة أرسل فيها لغريب : (لم أكذب عليك ، كنت أحاول الاتصال بخطيبي وطلبت الرقم الخاطئ) .

كنتُ خائفة جداً ، وقلت هذا حتى لا أعلق في شركك ، لكنّي علقت ، علقت بك من أول ألو . . .!

بقيتَ تحاول معي بكل الطرق لفترةٍ طويلة ، كابرت وحاولتُ الابتعاد لكنّي لم أستطع ، فقد كنتَ كما أنت ، تعيدني لك بين الدقيقة والأخرى ، تخرجني من عقلي لأرحل معك بأحلامي دون أن أعرف عنك سوى القليل!

***

عليَّ الآن أن أنام . . . تعبتُ كثيراً وأنا أحاول استيعاب كل ما يجري حولي ، لكنّي بالتأكيد سأعود لإكمال مسيرة التفكير المتواصل بك ،

والبحث عن إجابة لسؤالٍ يتردد في ذهني كثيراً : من عليه أن يقول آسف لمن؟!

أوووه ماذا تريد الآن؟ لماذا عدت لأفكاري مجدداً ؟

كنتُ أظن أني سأنساك وأنتقل إلى ما هو أبعد ، كنتُ أظن أن الوقت سينصفني بالنسيان ، لكنّه لم يفعل ، ولم تفعل أنت أيضاً! والسؤال : هل هناك من يفعل؟

اليوم وأنا أتنقّل في صفحتي الخاصة على فيس بوك قرأت :

(أتدرون؟ لا أحد يستحق!)

متناقضةٌ هذه العبارة بكل ما فيها ، فرغم ما فعلتَه بي إلى الآن إلا أنك في نظري تستحق ، وتستحق الكثير! وهذا بالتأكيد ما لا توافقني أمي الرأي فيه ، أمي التي تكرهك ، تكرهك كثيراً ، فأنت بالنسبة لها خيبة الأمل والصدمة الكبرى!

أمي قريبةٌ مني كثيراً ، تعاملني كصديقة مقرّبة ، تحاول احتوائي بكل الطرق إلا في موضوعك ، ربما لأني لم ألجأ لها منذ البداية؟ أو ربما لأنها تراك لا تستحقني أو ربما هو خوف الأم لا أكثر . . .

أعترف أني خفت أن أصارحها فرغم إحساسها بتغيُّري وزيادة دقات قلبي إلا أنها لم تساعدني على البوح وهذا ما جعلني ألزم سرّك بيني وبينك . . .

بدأتُ أختنق بكَ الآن . . . بدأت أختنق ، رغم أنك نسيمٌ لكني الآن أختنق ، لماذا تصرُّ على معاملتي كأنّي ألم؟ ألمٌ يعتصرك حد التلاشي؟ أنا لست كذلك ، حتى وإن كنت تناديني : (يا شقا عمري ، يا شقاي) .

حتى بهذا الاسم كنت غريباً ، فاسمي بعيدٌ كل البعد عن الألم!
عندما أسمتني أمي (فرح) لم تتخيل يوماً أني سأكون شقاء عمر أحد! فأنا فرح ، كما هو اسمي . . .

في قلبي الكثير من الألم المركَّزِ بالألم ، كم أنت أنانيٌ وقاسٍ ، فحتى اسمي سرقت نصيبي منه وفرحته بي ، ما كان ذنبه الذي اقترفه بحقك؟ ما كان؟!

أذكر مرةً تسللنا فيها معاً إلى حديقتنا السرية ، تلك الحديقة التي جمعتنا كثيراً ، كانت هادئة وبعيدة ، فيها كرسيٌ واحد بين شجرتين كبيرتين جداً ، كانتا تحملان حروف اسمينا ، ولطالما حفرنا بقسوة تلك الحروف في قلب جذع لا يقوى على شيء ، ما كان ذنبه بحروف كلها جنون؟!

كانت حديقتنا هي الوطن بالنسبة لنا ، فلولا وجودها لما تمكّنا من إمضاء أجمل الأوقات معاً ، في تلك المرة وبعد أن وصلنا الوطن وجدتَ كرةً صغيرة ، فتوقفتَ بسرعة مفاجئة وعدتَ للخلف ، أخذتَ الكرة وبدأتَ تركض ، وسحبتني معك ، لعبنا وضحكنا كثيراً حتى تعبنا من الضحك ، كنتَ كعادتك مرحاً نشيطاً محباً ، أحببتك أكثر يومها ، فقد زاد عدد ذكرياتنا بسبب كرة صغيرة لم يعرف صاحبها أنها جلبت لنا الكثير من السعادة والكثير الكثـــير من ألم الذكريات!

«يا نجوم السما ضمّينا . . وخدينا بعيد وحدينا» ، كانت هذه أول مرة ، وأول أغنية تغنيها لي ، كان صوتك فيها عذباً قريباً يلامس الروح ، ولكم وددت بعد سماعها منك لو أن النجوم تستجيب وتأخذنا بعيداً وحدنا دون أي عائق في طريق هذا الحب .

* أمّا عن أول مرةٍ صارحتني فيها بِحُبِّكَ ، فلم تكن بعد فترة طويلة من التعارف بل كانت فترة أقصر من قصيرة ، حسب ما أذكر كانت بعد أسبوع واحد . . .

: «فرح . . أنا . . ب . . ب . . . ولا ولا شيء»

: «احلكِ»

: «لا خلص انسي»

: «طيّب متل ما بدكْ»

وفي نفس اللحظة أرسلتها لي برسالة إلى الهاتف ، وأنا أفتح الرسالة قلتها لي . . .

كانت لحظة رائعة لا تنسى ، شعرت أن قلبي يكاد يصل السماء ويحلّق بها على اتّساعها ، ويرجع مجدداً وهو محتاجٌ لمزيد من الحب يكفيه لرحلة أخرى .

لن أنسى يوماً تلعثمك وصوتك الهادئ الحنون الذي لطالما هيأً لي أنيٌ الأولى والأخيرة في قلبك ، ليتك لم تقلها يا نسيم ، ليتك لم تتركني هائمةً بك بعدها!

***

نور ، كان اسمه نور وكان فعلاً نوراً في حياتي ، وَضَعَته الصدفة في طريقي وأنا في ثاني سنة دراسية في الجامعة ، لم أكن أعرف وقتها أي شيء عنه ، إلا أن الصدفة كانت مصممة على اجتماعنا ، ذاك اليوم كانت أول مرة ألبس فيها اللون الأصفر ، وكأنّها إشارة لشيء جديد سيأتي بصحبة لون جديد!

كان يلبس قميصاً أسودَ وبنطلالاً أسود ، شابٌ معتدل القامة أسمر اللون بعيون عسلية ، لم أعرف لون عيونه قبل كثير من الوقت وكأنّي لم أكن أرى عيوناً إلا عيون نسيم .

رأيته يذهب ويعود ، يروح ويأتي أمامي ، وعندما التفتُّ له همس بشفاهه من بعيد : «والله حلوة» ، أدرت وجهي وأكملت سيري وذهبت لمحاضرتي ، لكنَّ الصدفة شاءت مرة أخرى أن تجمعني به في محاضرتي الأولى ، فقد كان طالباً معنا في محاضرةِ الدكتور أحمد غسان ، الذي أحبه وأحترمُه ، كان يعطيني مادة المقال والتحليل الصحفي ، لم أعرف قبله أني أحب قراءة مواضيع خارجة عن إطار الشعر ، كان متميزاً جداً ، صاحب صوت رخيم وعلم ضخم وأسلوب ساحر في الإلقاء والإقناع ، لم يمر عليَّ أحد يحب العلم مثله ويشعر تجاه طلابه بكل هذه المسؤولية ، وأقولها باعتزاز كبير : هو مَثَلي الأعلى وأتمنى أن أكون مثله يوماً .

خرجت من المحاضرة مسرورة جداً ومندفعة ، حاملة طاقة كبيرة من النشاط والفرح لأرى نور في وجهي ينتظر دكتور أحمد ، سلّمتُ على الدكتور وذهبت ، والظاهر أنه لمح معرفة الدكتور بي وكان هذا أول طرف في الخيط ، خيط تقرّبه مني .

لم أكترث حينها وعدتُ للبيت ، لم أفكر فيه أبدا كان كل تفكيري متمحوراً حولك يا نسيم ، فنور بالنسبة لي مجرد معجب من ضمن كثيرين أول ما يعجبهم الشكل لا أكثر!

كان نور الوحيد الذي يواسيني ويمسح على جروحي ، جروحي التي سببتها أنت ، لم أخبره عنك يوماً ، إلا أنه كان يلمحك في عيوني كل لحظة ، وخصوصاً عندما كنا نسمع :

«نور عيني وفيكَ أشوف دنيتي

وأرى سنيني وحياتي وضحكتي

أحبك حب ما حبَّه بشر . .

نثر في القلب شوق العمر . .

لكن أنا وأنتِ ما نلتقي . . .

يموت العشب إذا ما ينسقي ، ما ينسقي!

نور عيني . . نور عيني»

وكأنَّها تتحدث عنا ، فنحن ملتقيان مفترقان كما قال أنطونيوس لكيليوبترا في مسرحية لشكسبير (أنطونيو وكليوبترا)

: «نحن ملتقيان مفترقان فأنت المقيمة هنا راحلة بالقلب معي ؛ وأنا الراحل عنكِ مقيم بالشوق إلى جوارك» .

لكم رحلتَ عني وأنت مقيمٌ في قلبي ، حتى شكسبير كان قد عرفنا أكثر منا ، ونحن لم نعرف!

***

قصتنا متشابكة جداً ، فنحن معاً ولسنا معاً ، أحياناً أشعر بكَ في كل أحداث حياتي ، أستنشقك مع كل ذرة أكسجين ، وأحياناً أخرى أشعر أنك تبتعد وتغيب في سماءٍ ليس لها بداية أو نهاية ، تحلِّق بعيداً عني وتعود بحنينك من جديد .

يقولون : «جبلٌ مع جبل محالٌ يلتقي» ، لكن المحال في قصتنا حدث ، قمة التجاهل مرة وقمة الاهتمام مرة أخرى ، تهتم بي كثيراً لدرجة أنك تغرقني في تفاصيلك فأشعر أن العالم مليء بك وحدك ، ومن

ثم تعود مجدداً لإهمالي وتركي بعالم لا طعم له لأنه خالٍ منك ، فبتُّ قريبةً جداً من الجنون بسببك ، وبسبب كل ما تفعله بي!

كثيراً ما كنتَ تحاول إيهامي وتشكيكي بعقلي ، لا أنسى أبداً ولن أنسى مرة من ضمن مرات كثيرة ناديتني باسم امرأة أخرى ، لا يمكن لك أن تعرف كم يحرق الروح هذا التصرف ، يشعلها ويتركها حتى تشبُّ النار فيها ، ومن ثم تعودُ وتحاول تصحيح الموقف فترشُّ على رماد النار نقطة ماء لا نفع لها ، وتترك بقايا رمادي تتناثر وتطير!

روحي أصبحت رماداً هشاً ، لا نفع له فلطالما أشعلتني وتركتني دون أن تفعل شيئاً!

فرح : من هذه يا نسيم؟

نسيم : مَن؟

: التي ناديتني باسمها؟

: أنا؟ ناديتكِ باسمك حبيبتي

: نسيم ، مَن آلاء؟

: مَن آلاء ، مَن قال آلاء؟ ما بالك حبيبتي بتِّ لا تسمعين أيضاً ، ألا يكفيني أنك لا تميِّزين بين البني والأسود؟ وضحكت .

: مَن ؟ أنا لا أميِّز؟

: وإلا أنا؟

: لا تحاول تغيير الموضوع

: فرح ، يكفي نكد أنا لم أقل آلاء ، إنْ كنتِ قد جننتِ فلا ذنب لي أن أجن معكِ ، وأغلقتَ الخط .

ما كل هذه القسوة؟ أو ما كل هذه الوقاحة؟ من الذي جنّ بيننا؟ ألن تتغير يوماً؟ ألن ترأف بروحي قبل أن يتناثر كل رمادها ولا يبقى منه شيأً؟

ما كان باقياً عليّ فقط أن أسمي نفسي باسمك، وأحوّل حرفي لحرفك، أما أنت فتناديني باسم أخرى . . .صعب، صعبٌ جداً!

***

بكالوريوس الصحافة والإعلام، هذا هو تخصصي في الجامعة، التخصص الذي لم أحلم به أبداً لكنني سعيدة جداً باختياره ومقتنعة أن لدي القدرة على الإفادة به .

يُقال : ((أحيانا يكون بداخلنا كلام لا يحتاج إلى أذن تسمعه بل يحتاج إلى قلب يشعره)) ،لكنك لم ولن تشعر بي لذلك أنا سعيدة بهذا التخصص، فهو يجعلني قادرة على التعبير عما بداخلي بشكل أوضح، وهذا كل ما أحتاجه الآن حتى أرتاح قليلاً .

***

وماذا بعد؟

ماذا بعد كل هذا الألم؟ ماذا بعد كل هذه الخيانات؟ ماذا بعد كل هذا الهروب؟

رغم هروبك المتكرر إلا أنك لا تزال مصراً على أنك الأكثر رجولة بين الجميع، فدائماً كنت تتحدث عن الرجولة والمراجل الساكنة في أحشائك، لكني لم أشعرها كثيراً معك ربما لأني في اللحظات التي احتجتك فيها لتكون رَجُلي، هربت!

لا أنكر أني شعرت برجولتك في بعض الأوقات، وأَشعَرتَني بأنوثتي

في كثير منها إلا أنك كنت تمسح كل هذا في لحظة!

عندما أخذتَ حقيبتي ووضعت رأسك فوقها وغَفَوت ، أربَكتني كثيراً ، وشعرتُ بكل شيء لا يمكن أن يشعره المرء ، شعرتك طفلاً صغيراً ينام أمامي ، شعرتُ بحاجتي لك ، بأهمية حبي لك ، شعرت بأني أحبك ، نعم ببساطة أحبك .

غفوتَ قليلا وتركتكَ تنام ، وتركتُ لنفسي العنان بالاستمتاع بطفولتك وبراءتك ، لا أدري كيف نمت! لكنك نمت ، وعندما استيقظتَ كنتَ غريباً جداً ، فزعتَ وقلتَ : «ماذا حدث»؟

ضحكتُ عليك وقلت : «نمت ، كعادتك تغفو وتتركني أتابعك!»

نظرتَ لي باستغراب مع ضحكة خبث أعرفها جيداً : ومتى كنتُ أنام وأتركك إن شاء الله يا مفترية»؟

رفعتُ حاجبي الأيسر ـ الحركة التي تموتُ ضحكاً بسببها ـ وقلتُ : « نسيتَ كم مرة نمت وأنت تحدثني على الهاتف؟ لا والأدهى أنَّك تفيق غير متذكر شيئاً من الذي حدث» .

ضحكتَ وقلت : «حبيبتــــي ، يعني الفكرة ليست بالنوم ، الفكرة بأن أكون معك في كل الأوقات» .

أنزلتُ حاجبي وضحكنا معاً وكان هذا الحد من الحب يكفيني لأطير وأحلّق حتى اللقاء المقبل .

***

أتصدّق؟ عندما أتذكّر أحداث قصتنا أضحك معها وأبكي عليها ، لكني لا أتمنى عودتها أبداً ولا أندم عليها ، فأنا مدينة لك بكل القوة التي

أحملها الآن ، فتجربتي معك كانت من أقسى وأخطر التجارب ، تعلمت فيها فنون القتال مع الضعف ، والتعايش مع الحياة دون الهروب من الألم ، عَلمْتَتي الصبر ، والمواجهة ، نعم هَدَمْتَني ، لكنّي أعترف أنك بَنَيتَني بشكل أمتن وأقوى ، لأصبح إنسانة تتعايش مع كل الظروف ، قادرة على رسم ملامح الحزن حباً وأملاً ، فصدقاً أشكرك .

***

وبدأتْ علاقتنا ، بعد محاولاتك الكثيرة معي ، استطعتَ إقناعي بأن أعطيك فرصة ، وأعطيتك . . . لا أدري كيف وافقتك؟ لكنّي أتذكّر أني كنت بعد كل مكالمة أشعر بالندم وأتعهّد بيني وبين نفسي ألاّ أعاود الاتصال بك ، إلا أني كنتُ أنقض كل عهودي بعد قليل ، وأعود .

بعد مرور أسبوعين على بدء علاقتنا ، بدأ الفضول ينهش عقلي ويهاجمك ، أصبحتَ تريد رؤيتي بأي شكل ، تريد معرفة صاحبة ذاك الصوت الذي فتنك -كما قلت- وكنتَ تقول لي : «لا يفرق شكلك عندي إذا كان حلواً أو لا ، فأنت عشعشت في هالقلب خلص» ، كنتَ تضحكني بأسلوبك ، وحبّك للفرح ، وحبك لي .

وفي ليلة من تلك الليالي الطويلة التي كانت تجمعني بك هاتفياً ، بدأنا نخطط لطريقة نلتقي بها ، فتارة تقول لي : «سأرمي عملةً على الأرض أمام سيارة والدك وأنتِ بصحبته وأقوم بإيقافه : عمي عمي ، لا تَدُسْ نعمةَ الله ، فينزل والدكِ ليرى ماذا حدث وأنا أسرق لمحة سريعة لأتعرّف إلى وجه حبيبتي ، ولكن كيف سأعرف أي سيارة هي سيارة والدك؟ خصوصاً إذا مرّت أكثر من سيارة متشابهة؟» ، وتارةً أخرى تقول لي : «سهلة ، تتعطل سيارتي أمام بيتكم وأنزل وأدق الجرس وأطلب ماءً لأن السيارة عطلانة ، وطبعاً ستأخذكِ النخوة والشهامة وستحضريها لي

بنفسك ، لأنه لن يهون عليكِ أن تتركيني أعاني مع سيارتي ، لكنَّ الخوف أن يتشجع والدك أكثر منك وينزل هو لمساعدتي ، يـــا الله ، عجزت!»

قضينا الكثير من الوقت ونحن نخطط ونفشل ، أقصد أنت تخطط وتفشل وأنا أضحك ، كنتَ تتكلم بجدّية جعلتني أتشوق أكثر لرؤيتك ، وبعد حوار دام إلى ما قبل الفجر بقليل صحتَ وأفزعتني : «وَجَدتُها»

: «ها احكِ ، أتحفني»

: «سأراكِ في المدرسة!»

ضحكتُ على هذه الفكرة المجنونة ولم أكترث بها أبداً ، وإذا بصوت أذان الفجر يرتفع ، فقلتَ : «يـــا رب»

سألتك : «ماذا دعوت»؟

أجبت : «رجوتُ ربي أن لا يحرمني منكِ ويجمعني بك يا أجمل صدفة في العمر» .

كنتَ دائما تملؤني بِحُبِّكَ يا نسيم ، تملؤني حد الفيض . . .

وكانَ اللقاء ، لقاؤنا الأوّل . . .

كان طائشاً جداً ، ويكمن طيشه في المكان الذي اختَرْتَه للّقاء ألا وهو المدرسة!

كانت الفكرة فكرتك ، لكنَّ التفاصيل والتنفيذ كانتا من إعدادي ، فأنا شريكة بالنصف مثلك تماماً ، أنا أيضا أتحرّق شوقاً لرؤيتك ، ومعرفة ذاك الغريب الذي سرق قلبي وأخفاه بعيداً حتى قبل أن ألقاه!

نزلتُ إلى المشرفة وقلت لها : «سيمرُّ ابن خالتي إلى هنا بعد قليل ليأخذ مفتاح البيت» ، سألتني : «كيف عرفتِ أنه آتٍ»؟

لا أخفيكَ أنّي تلعثمتُ كثيراً ، فنحن لم نعمل حساباً لهذا في خطتنا!

أجبتها : «أمي قالت لي صباحاً أنه سيأتي» .

ردَّت : «حسناً» .

شعرتُ أن قلبي سقط على أرض مكتبها ودسته خوفاً وأنا خارجة ، خرجت وانتظرتك حتى تصل ، كنتَ أنت أيضا خائفاً أكثر مني ، ففكرتنا أكثر من مجنونة وأكثر من طائشة ، وبعد قليل من الانتظار وكثير من التوتر والزيادة في سرعة نبضات القلب والارتجاف ، وَصَلت .

شابٌ وسيم طويل القامة أكثر مما تخيلت ، أسمر وبشعرٍ بني وعيون . . . . . ، لا أدري لم أدقق في لون عينيك فكنتُ خائفة جداً .

في الليلة السابقة سرقتُ من البيت مفتاحاً قديماً لا أدري لأي باب ، ووضعتُ فيه ميدالية على شكل قطة تحمل قلب حب حتى أستطيع تنفيذ الخطة ، اقتربتَ مني وقلت :

«مرحباً» ، وعيونك تكاد تسقط من الخوف .

قلتُ لك : «أهلاً ، تفضّل هذا هو المفتاح» ، تبعثرتَ كثيراً ، أخذتَه ونظرت إليَّ بسرعة ورحلت .

لم يتبقَ في المدرسة طالبة إلا وشاهدتنا ، فقد كنّا عند بوابة المدرسة ، وكانت الطالبات مصطفات للرجوع إلى الحصص بعد الاستراحة ، كان هذا جزءاً من خطتنا التي لم نتخيل أبداً أنها ستنجح ، لكنها نجحت وخيبَّت كل توقعاتنا ، وحملت لي صورة أول حب ، وأول جنون .

عندما ركبتَ سيارتك كنتَ أمامي ، ومن بعيد حرّكت شفاهك :

«أحبكِ ، أحبك ، أحبك» .

ابتسمتُ ، وذبت وزادت دقات قلبي أكثر .

***

عرفتك يومها أكثر ، تشبه لحد كبير فارسَ أحلامي الذي رسمته طويلاً في خيالي ، لكنَّك أجمل بقليلٍ ، فأنت واقعٌ اكتمل وهو ليس إلا مجرَّد حلم .

في تلك الليلة لم نستطع التحدث إلى بعضنا ، فقد قدمت لزيارتنا جدتي ، كنتُ أحب النوم بالقرب منها فهي دافئة وحنونة لأبعد الحدود ، لكنِّي في تلك الليلة لم أفرح بمجيئها ، فأنا على نار حتى أعرف ما هو رأيك بي ، وهل تخيلتني هكذا أم رسمتني في خيالك فتاة مختلفة؟

لكنَّ جدتي لم ترحم ناري وقررت النوم عندنا ، لكم وددت أن أخبرها بكل شيء ، لكنِّي خشيت أن لا تفهمني فأنا لم أكلِّمها عن مشاعري مرة ، ولم أبح لها إلا أسراراً بريئة جداً لا تشبه علاقتي بك!

نمتُ على مخدة الأمل ، ولأول مرة أعرف معنى أن ترى شيئاً لم تكن تتخيل يوماً أن له مثيلاً في الوجود .

وَصَلتني منك رسالة : «أحبكِ يا قمري ، يا أحلى عيون رأيتها في حياتي» .

فرحتُ بهذه الكلمات كثيراً وأطفَأَتْ قليلا من شوقي ، وأرسلتُ لك : «وأنا أحبك»

أجبتني : «بس هيك؟ ما في يا حلو مثلا؟»

أجبتك : «ومن قال أنَّك حلو؟»

استمرت مراسلاتنا طويلاً حتى نمتُ وأنا أمسك الهاتف واستيقظت وأنا أحمله .

***

مرّت أحداث قصتنا بسرعة أم ببطء؟ حقاً لا أدري ، لكنها كانت مفرحة موجعة في آن واحد ، لم أعتد إلا على وجودك تماماً كما اعتدت على غيابك ، هل من أحدٍ يستطيع الاعتياد على غياب من يحب؟

أفكّر دائماً بالموت ، ماذا لو متُّ أو متَّ أنت يا نسيم؟

ماذا سيكون بعد ذلك؟ كيف ستكون حياة الآخر؟ هل سيعتاد؟

اليوم أدركت أن الإجابة نعم سيعتاد ، فها أنت اعتدتَ على الحياة ببعدي ، وها أنا أعيش تفاصيلي الصغيرة دونك ، واعتدت!

لو أنّي كنتُ أعلم أن الوقت يحمل لنا النسيان ، لو أني ضمنت نسيانك ولو للحظة لاخترت بعدك منذ خذلانك الأول لي ، لكنني لم أضمن ، ومن منا يضمن؟ راهنتُ عليك كثيراً لكني خسرت في الشوط الأخير رهاني ، وخسرت معه الكثير أيضاً!

***

في ليلةٍ شتوية باردة ، نمتُ باكراً ، رغم حبي الشديد للمطر ، وإدماني السهر لأكبر وقت ممكن وأنا أحدّثك وأشاهده ، إلا أن النعاس غلبني ليلتها ، ونمت .

استيقظت على صوت رنّة هاتفي لأسمعكَ تقول لي : «يسلم لي هالصّوت»

وأنا شبه نائمة أجبتك : «ما الذي خطر لك»؟

: «لن أخبركِ ، ولماذ أخبركِ؟ أتحبينني مثلاً ؟!»

: «لا والله؟!»

ضحكتَ وسألتني : « كنتِ نائمة؟ غريب!»

: «نعم لا أعرف كيف غفوت ، كيف حالك أنت؟»

: «بخير «

: «وأنا بخير أيضاً»

: «لا تعطِ معلومات دون أن أسألكِ ، خـتيرت وأنا أعلِّمك ، ولم تتعلمي حتى الآن ، ومع ذلك أحبكِ ، يا الله يا معين» .

: «حاضر لن أعطِ لك أي معلومات مرة أخرى ، الحقُّ علي حاولت مساعدتك» .

استمرّت المشاحنات الودية لوقت طويل ، حتى استفقت تماماً وابتعد عني النعاس ونمتَ أنت كالعادة على الهاتف .

***

ما كان يميِّز علاقتنا كثيراً هو اختيارتنا الدائم لأماكن مجنونة وغير مألوفة للقاء ، حيث كان منها حبنا للجلوس على الأرصفة!

ففي مرة كنا نجلس فيها على رصيف شارع الحديقة الخارجي ، ونأكل مثلجات بطعم التوت ـ حيث أننا نقضي أكثر وقتنا معاً ونحن نأكل ـ يومها مرّت من أمامنا مجموعة فتيات جميلات ، وأردنَ أن يقطعنَ الشارع ، أسرعتُ أنا ووضعتُ يداي على عينيك حتى لا تراهن ، لكني على ما يبدو تأخرت ، فبدأتَ تضحك

: «حبيبتي والله أنّكِ مجنونة»

: «آه طبعاً ، انبسطّت على البنات»

: «يا ويلي ما أزكى البنات ، بودّي لو ألفهن بخبزة وآكلهن» .

ولأني كما ادَّعيتَ مجنونة ، قمت بإطعام وجهك القليل من المثلجات ، وقامت الحرب . . .

كم أفتقدك الآن ، حتى هذه المشاجرات والمعارك أفتقدها كثيراً ، أحن إليك أكثر مما تتخيل يا وجعي ، أحن وحنيني لك يكبر . . .

***

في عمرنا ما يمر علينا الكثير من الحب والكثير من الأحاسيس سواء أكانت إيجابية أو سلبية ، للأشخاص أو للأشياء ، للحب ذاته أو للشعور به ، «فالحب في الأرض بعضٌ من تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه» ، وأنا لا أتخيل هذه الدنيا دون حبّي لك ، دون ذاك الإحساس القوي الذي جعلني دائمة الارتباط بك وبحُبّك ، حُبّك الملطّخِ بالألم!

لماذا لم أنسك ، ولماذا لم تنسني أنت؟ ها أنت تعود لي مجدداً بعد ضياعك دوني ، وأنا كالعادة ليس لدي إلا انتظارك!

***

بدأتُ أرى نور كثيراً في كل مكان في الجامعة ، يسأل عني ، يحاول التقرب لي فهو زميلي تقريباً في كل المحاضرات وينافسني بمستواي الدراسي ، يمسك أصغر فرصة تتاح له للحديث معي ، وحصل أن أوقفني مرة وأنا في طريقي للمحاضرة

: «مرحباً فرح «

بكل برود وتجاهل وعدم استغراب لمعرفته باسمي : «أهلا»

: «هل يمكن أن نتحدث قليلاً» ؟

لم أستغرب جرأته وقلت : «لدي محاضرة وأريد الذهاب»

بدأ يحاول إقناعي بالتحدث معه ولو لدقيقة حتى أفهم ما يريد ، أتعبته كثيراً وهو يلاحقني ولم آبه ، كان هذا المشهد يتكرر كل يوم تقريباً حتى أصبتُ بالملل من هذا الروتين ، سمعت له وعرفتُ أنَّه وَقَعَ وَلا أَحَدَ قد سمّى عَلَيه . . .

لم أجرِ يوماً أي مقارنة بينك وبين نور ، ربما كان ذلك بسبب خوفي الكبير أن يتفوق عليك وأضطر لمواجهة نفسي بسؤال لطالما تجنبته : لماذا أنت؟ رغم كل ما تفعله بي؟ لماذا؟

لكنَّ الاختلاف بينكما كان واضحاً ، فهو طيبٌ جداً ويمكن فهمه بسهولة ، فلم آخذ وقتاً طويلاً مثلما فعلتُ معك وفهمته ، أما أنت فلا زلتَ لغزاً غامضاً أحاول حلَّه حتى الآن!

تطورت علاقتي به خلال الفصل الأول كثيراً ، فكنتُ أراه كل يوم تقريباً ، نتباحث في أمور الدراسة ونتساءل عن أحوال بعضنا كأي زميلينٍ ونغادر ، كنتُ أعتبره صديقي وكان يعاملني على هذا الأساس ، لكن لم يَخفَ علي ولو للحظة حبه المفضوح في عينيه ، عيناهُ البريئتانِ الدافئتان الصادقتان .

كان يشعر بي كثيراً ويحاول احتواء كل ما أفكر به ، لم أكن أبوح له بشيء فأنا بطبيعتي لا أتحدث عما أحس به ، لكنه كان محترفاً في فهم إحساسي دون اللجوء للبوح .

كانت رائحة سجائره الممزوجة بالعطر تشدّني دائما إليك ، فهي تماماً نفس رائحتك! ولطالما غادرتُ وأنا مشبعةٌ بحنيني لك بعد استنشاقها ،

وهربتُ منه خوفاً من ذاك الحنين ، الحنين الذي لا يترك في القلب غصة إلا وأطلَعَهَا وأَوجعَ بها روح صاحبها!

***

عندما استيقظت في الصباح استيقظ فضولي معي أو بمعنى أصح استيقظ قبلي وهو الذي أيقظني ، تسللت للغرفة المجاورة وتحدثت إليك ، كنتَ نائماً واستيقظتَ على اتصالي

: «صباح الخير»

: «صباح الورد»

وبدأَت مكالمتنا القصيرة جداً دون أن نتحدث عن مغامرتنا الخطيرة في صباح الأمس ، لازمني فضولي حتى المساء الذي وَصَفْتَني به وهمت بك بعدها عشقاً وتمنيت من كل قلبي لو أن الزمان يتوقّف عند هذه اللحظة . . .

في المساء أرسلتَ لي : «متحرقص أعرف رأيك بي»

اتصلت بك وبدأنا الحديث عن أجمل مغامرة . . .

: «كنتِ في غاية الجمال ، شعركِ الطويل هو أكثر ما لَفتني فيكِ ، الشعر الأسود الناعم والعيون السوداء الكبيرة وبياض بشرتك وتفاصيلك الناعمة و . . .و . . . .و . . . .»

ضحكتُ وقلتُ : «على مهلك ، حسناً اذكر ما الذي لم يعجبك»؟

قلتَ : « لا شيء حبيبتي ، سوى أنكِ إلى الآن لا تزالين بعيدة عني»!

تحدَّثنا كثيراً ، وشعرتُ بأني أرضيك وبأني من كنتَ تحلم بها ،

لكنّي لم أكن أعلم أنك تحب تذوّق كل الأصناف وكل الأشكال!

***

لا زلتُ إلى الآن عاجزة عن اكتشاف سرِّ رجوعك دائما إلي؟

هل كان بدافع حب التملك؟ أم الشوق؟ أم أنك تعوَّدت أن أكونَ في كل مرة كاللغز المختلف الذي تحاول حله من جديد فتستمتع بتفاصيله مجدداً؟

ببساطة . . . أنا لستُ لغزاً !

أنا فقط صاحبة أدفئ إحساس بالحب ، أجمع بداخلي كل شيء تحبه وتكرهه ، حتى يتٌّ بالنسبة لك معادلةً صعبة ترميها قليلاً وتعود مجدداً لحلّها!

تسعى ورائي كثيراً وتحاول جلبي بكل الطرق ، لا أنكر أني كنت ضعيفة لحد سماحي لك بالذهاب والعودة كما تشاء ، فلم أكن أفعل شيئاً سوى البكاء من بعيد!

* أذكر مرة قررتُ أن أختبر حبّك ووفاءك ، لم أكن أعرف عن غدرك وخيانتك شيئاً بعد ، كنت أظنك نسيماً بالفعل ، لم أكن أتخيلك ريحاً جارفة تدوس كل ما يقع في طريقها وتدمّره!

طلبتُ من صديقتي وفاء أن تتصل بك ، وتحاول سحبك بالحديث حتى أعرف مدى حبك ومصداقيتك ، نعم كان امتحاناً صعباً عليك لكنّك أدهشتني بالنتيجة . . .

اخترعتْ وفاء قصة من عقلها حول فقدانها لحبيبها ، وأنت بإنسانيتك العالية وحبِّك الخيرَ للغير ، تبرّعت مسرعاً بإضاءة أصابعك

العشرة شمعاً لها تذوب عوضاً عن دموعها الغالية على قلبك .

صدَمتَني كثيراً بردودك ولا أدري كيف هجمتُ على الهاتف وأخذته من وفاء ، وبدأتُ أصرخ فيك : «أنت خائن ، أنت لن تحب ، لن تتزوج ، لن ترتقي لمنزلة البشر ، لن ترتقي أبداً» .

صُدمتَ بي وتساءلتَ في داخلك من أين أتيتُ أنا؟ وكيف تحوَّل حلمكَ الوردي فجأة إلى وحشٍ ثائر يحاول استرجاع القليل من كرامته المطروحة أرضاً عاجزة عن القيام مرة أخرى!

توسلتَ إليَّ أن أؤجلَ هذا الحديث ، لكنني رفضت وأكّدتُ لك أن هذا آخر ما يجمعنا ، أغلقتُ الخط ومع إغلاقه اشتعلت نيراني وبدأت الزوابعُ تغلي وتدور في رأسي .

بدأتُ بالبكاء ، كان بكاءً هستيرياً لم أتوقف عنه أبداً ، اقتربت مني وفاء وحاولَت احتضاني ، زاد بكائي حتّى هدَأتُ وقررت ألاّ أبكي ، ولم أكن أعلم إن كانت صدمةَ البداية أم بدايةَ الصدمة وبعدها سأفيق ، أم إنّي حاولت لمَّ ما تبعثرَ منّي أمام وفاء ، التي كرهتك من يومها وأصبحت ضد علاقتنا ، كبقية من عرفنا ، وعَرَفَ عن هذه العلاقة .

نمتُ ليلتها وأنا أشعر أنَّ الحياة توقفت ، استغربت مخدتي وصوتي وسريري وشعوري ، لأول مرة مذ عرفتك سأنام دون أن أحدِّثك ، ودون أن أكون معك على الهاتف!

الآن أعترف : كان تصرفي خاطئاً ، لأني وضعتُ بكَ ثقة عمياء لا يجب أن توضع في خائن ، لا يجب أن توضع في بشر!

ليلتها لم تفارق الأحلام نومي ، رأيتُ خيانتك بألف طريقة ، كل حلم كان له نهاية مختلفة ، ومن حلمٍ لآخر جرَّبت كل النهايات والمواقفَ

والمشاعر التي يمكن أن تحتملها القصة ، حتى حلمتُ بنهاية مختلفة ، رأيتك فيها لم تذهب ، لم تُخلف وعدك أبداً ، رأيتك فيها تحبّني أكثر من العادة لدرجة أني استيقظت من النوم وأمسكت الهاتف أتفقد اتصالك ، لكنّي تذكّرت ما حدث ، فتوسدت الخذلان مع طلوع الصباح وبدأت أسمع :

«يسعد صباحك يا حبيبي ، حالي طيب

كل شي مثل اللي كان ، المدامع والمواجع . .

والأمان اللي اختفى لحظة غيابك ، يسعد صباحك يا حبيبي»

كنتُ قويةً صلبةً ذكيةً مع غيرك ، لكنّي كنتُ معك أضعف من قشّة!

غبتَ عني قرابة الأسبوع بعدها ولم تحاول أن تراسلني ، كنتُ أعلم أني أخطأت عندما وثقت بك كثيراً وأخطأت أيضاً بأسلوبي في إرسال وفاء لمحادثتك ، لكن هذا ما حصل!

بعد فترة ، أرسلتُ لك في منتصف الليل :

«كم شمس غابت وأنا أشوفك شمس الضحى اللي تباريني ، وإذا منع جيّتك خوفك ، نورك فلا غاب عن عيني

الحب تدري ما هو بايدي؟ سيدك تراه الهوى وسيدي»

لكنك لم تقدّر حتى هذه الرسالة التي دفعني شوقي لأدوس على بقايا كرامتي وأرسلها لك!

رغم ما فعلته بي يومها ، إلا أني أخذتُ أفكّر بمشاعرك ، خفتُ عليها ، خشيتُ حزنك وتعبك ، كنت أظنك نادماً ، ونسيت حقاً أن بعض الظن إثم!

اليوم وأنا أتذكّرُ هذه الأحداث أضحك على سذاجتي ، وأبكي على طيبة قلبي الذي جعلني أجرُّ خلفك مثل طفلة صغيرة تُسحَبُ من يدها نحو طريق مجهول!

بقينا على هذا الحال كثيراً حتى غلبكَ الشوق أخيراً وعدتَ لاكتشاف ألغاز جديدة في فرح ، الفتاة الساذجة سهلة التشكيل والتَشَكُّل ، صعبة التوقع والامتلاك .

كنتَ ذكياً جداً ومسيطراً لحدٍ كبير ، قادراً على جعل الحق باطل ، والباطلَ أساس الحق! فعندما عدتُ ، حمّلتني كل الذنب وعشتَ بدور المظلوم ، وصدقاً حتى أنتَ صدّقت نفسك وصعبتَ علي ، أنا الشريرة قاسية القلب والخائنة!

استعدتني ، ودون مقاومة عدتُ لك ، وفي كل فرصة كانت تتاح لك كنتَ تذّكرني بما فعلتُ ، تذكّرني بأخطائي التي دفعتكَ للخطأ!

ورغم كل شيء لم أستطع البقاء بعيدة وعدتُ لك ، رجعتُ وأنا أعلم أن قراري خاطئ إلا أني وددت التجربة مجدداً ، ووددت إعطائك فرصة جديدة علّك تبني ما هدمت وتعيد لي ما أضعتَه مني!

وقتها أدركت أني أدمنت رجوعك وأدمنت وجودك ، وأدمنت حبّك ، وقتها أدركت معنى قول نزار قباني : ورجعتُ ما أحلى الرجوع إليه!

«نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى . . ما الحب إلا للحبيب الأولِ»

دائماً أتساءل هل نسمّي الحب الأول بالأول لأنه للشخص الأول والتجربة الأولى التي تمر في حياتنا؟ أم لأننا نطلقه على أول تجربة نشعر فيها أن هذا هو الحب الأول ؟

ربما لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال لأنك كنتَ بالنسبة لي أوّل

تجربة وأوّل شخص يستحق لقب الحبيب الأول والحب الأول ، حبي الأول الذي كانَ فضوياً متعثراً ، لكنَّ له أثراً سيبقى على مدار الأيام محفوظاً في الذاكرة دون غيره من المشاعر والتجارب .

***

عندما أفكّر في تفاصيلنا الصغيرة أنا وأنت ، أرى أن علاقتنا كانت أكثر من ناجحة وأكثر من قوية ولا أدري كيف وصلنا إلى هنا؟ وكيف باتت مشاعرنا مجرد أمنية بين يدي القدر ، إما أن تتحقق فتزهر هذه المشاعر ، وإما أن تتبعثر وتبعثر ما تبقى منا معها .

كان إحساسك قوياً وحنوناً بنفس الوقت ، كنتَ تشبه والدي الذي لا يمكن أن يخاف علي أحد مثله ولا حتى أنت ، فأنا مدللته وصغيرته وابنته الوحيدة ، يحبني كثيراً ويخاف علي ، لكنّي كنت أخشى موقفه من هذا الحب ، كنت أخشى أن تشوّه صورتي في عيونه وأن لا يفهمني أبداً ، لكن حبك كان أقوى من هذا الخوف ، حاصرني وجعلني أصمت ، وأحبك فقط!

***

قريبٌ أنت مني قرب النسيم للروح ، وبعيدٌ بعدَ النسيان عن قلبي الموجوع!

في كل مرة تغني لي فيها كنتُ أشعر أن قلبي يدق بسرعة ويهيم بك ، ويطير حولك ، أحب صوتك ، أحبه جداً ، كنا نفترق كثيراً على أتفه الأسباب ، نتفق على الفراق ونفترق لمدة ساعة ، ساعتين لا أكثر وتعاود الاتصال بي ونتحدث وكأنَّ شيئاً لم يكن ، حتى أننا لا نذكر هذا الأمر بتاتاً وكأنه لم يحدث ، ربما لهذا السبب ألفتَ وداعي واعتدت عليه ،

إلى أن اتصلتَ بي وقلت : «اذهبي إلى أمك بسرعة واسأليها : في شاب بمواصفاتي _التي تعرفينها _يريد أن يتقدَّم لخطبتي ما رأيك؟»

صدمتُ أنا ولم أتوقَّع هذا ، لم تكن قد فاتحتني بالموضوع مسبقاً ولم يكن قد مضى على علاقتنا فترة طويلة ، فرحت بسؤالك كثيراً وزاد من ثقتي بك وثقتي بقرار بقائي معك ، وبدأنا نخطط لقصة مناسبة نخبرها لأمي حتى تكون قصة تعارفنا ، اتفقنا على كثير من الأشياء لكنّي فضّلت أن أترك الكلام لحين حديثي معها ، ركضت مسرعة نحو أمي التي وأنا أرى مستقبلي معك ، ذهبتُ وقلبي يردد : «سأكون معه ، سأكون معه» .

: «ماما ،أريد أن أتحدَّث معك بموضوع»

: «فرّوحتي ادخلي بالموضوع بسرعة أعرف حركاتك هذه»

: «ممممممم طيب ، في شاب اسمه نسيم حلو وابن عالم ومحترم جداً «

: «وماذا أيضا يا فرح»؟

نظرتُ إلى الأرض ، وخجلتُ كثيراً ولا أدري ماذا حدث لي؟

: «حبيبتي فرح احكِ ما القصة»؟

: «هذا الشاب يريد أن يخطبني»

: «ولكن من هذا؟ ومن أين عرفته؟»؟

لاحظتْ أمي ارتباكي فلم تسألني عن أي تفاصيل وحاولت تقصير الطريق علي وتسهيل المهمة فأجابت : «حبيبتي فرح أنتِ لا تزالين صغيرة ، وأنا لن أسمح لك بالزواج قبل إنهاء دراستك ، ولا حتى والدك» .

: «ولكن يا أمي . . .»

: «فرح ، انتهى الحديث بهذا الموضوع ، ماذا تحبين أن تأكلي على العشاء؟»

على غير عادتي لم أناقشها أبدا ، سحبتُ أذيال الخيبة خلفي وخرجت ، اتصلتُ بك وقلتُ لك الرد ، وأغلقتُ الخط دون أن أسمع منك شيئاً .

كنتُ حزينة جداً ، ولم أفهم موقف أمي ، لا أدري لماذا لم تحاول فهم ما بداخلي؟ أقسم أني كنت سأقول لها لو ساعدتني في تلك اللحظة ، لكنَّها لم تساعدني وأنا لم أتحدث ، فأضعت الفرصة ، بالفعل كنت صغيرة جداً على الزواج بوقتها لكنّي لم أشعر إلا بخيبة الأمل . . .

تركَتَنِي قليلاً ثم عادوتَ الاتصال بي مجدداً : «فرح أنا لا أستطيع أن أكمل هكذا إما نتزوج أو نفترق»

: «لقد قلتُ لك رأي أمي بالموضوع»

: «لا أعرف ، لكنيّ لا ستطيع أن أكمل بهذه الطريقة وبرأيي دعينا نفترق حتى لا نكون جروحاً في حياة بعضنا»

وبالفعل قررنا الفراق وأنهينا المكالمة بسرعة ، كان صوتك مختنقاً حزيناً وكنتُ أنا أيضا كذلك .

ليلتها لم أفارق غرفتي ودموعي وأحلامي التي باتت بائسة ، وإذا بأمي تدخل غرفتي وتقترب من سريري ، جَلَسَت بجانبي وأَخَذَت تمسح على شعري وتقول : « وأنا بنفسِ عمركِ يا فرح مرّت بحياتي أحلامٌ كثيرة ، لم أفكّر بأنها لن تتحقق ، كنتُ أظنّها ستنجح وتبقى مدى العمر لكنّها رحلت ورحل معها الكثير من الأشخاص والذكريات والعمر أيضاً ، وكما ترين لا زلت على قيد الحياة بل وأصبحت أضحك على تلك

الأحـلام ، والأفكار ، لأني الآن أعرف الحيـاة أكـثر ، لذلك لا أريدكِ أن تحزني أو تتأثري على أي شيء ربما يضحككِ في الغد ، وتذكّري دائمـاً ليس عندي في هذه الحياة أغلى منك ولن أختار لكِ إلا الأفضل . . .»

قبّلتني وخَرَجَت من الغرفة ، فكّرت قليلاً بكلامها ونمت . . .

كانت عادتي أن أتصلَ بك يومياً في الساعة السابعة صباحاً حتى تستيقظ من نومك وتذهب للعمل ، فكنتُ أمسِكُ بهاتفي وأتّصل بك بعد أن أفتح عيناي من النوم مباشرة ، وفي صباح تلك الليلة عندما استيقظت قررت الاتصال بك دون أي تفكير ، وفعلت . . .

: «صباح الخير»

: «صباح النور حبيبتي»

: «هيا استيقظ الساعة الآن السابعة»

: «فرح»

: «نعم»؟

: «ألا تعرفين كيف غرقتُ بحبِّك ، ولا يفيدني أي تجذيف بعد الآن؟ سأنتظرك كل العمر إن احتجتِ يا كل العمر ، هل تتوقعين أني أستطيع العيش دونك؟ تكونين مجنونة إذن» .

وهكذا عدنا لنكمل ما تبقّى لنا من تفاصيل في قصة حبنا الغريبة . . .

دائماً تملأ عيني يا نسيم دائماً ، أحبك . . أحبك جداً . .

بعد مرور ثلاث سنين على هذه القصة تقريباً ، تذكّرنا هذا الموقف ، وتمنينا لو كانت مواقفنا مختلفة وانتهينا منذ ذاك الوقت ، حتى لا أكون

اليـوم شـقـاء عـمـرك ووجـعك الدائم ، وحـتـى لا تكونَ ذاكـرتي الـتي لا تنطفئ . . .!

بعد مرور تلك السنين تذكَّرنا القصة وكأنها حصلت منذ زمن بعيد ، ودون سابق إنذار أخذتَ تنظر لي وتغنِّي :

«أيام حِلوة كانت أيّام حُبك ، كِنت في روحي تسري . . .

كِنت بجنون أَحبك ، قاسي القلب لَكنْ كان قلبي بقلبك

ضعت مني بثواني والله دنيا ما تسوى . .

والله دنيا ما تسوى»

ورحتَ تبكي . . .بكيتَ بحرقة ، وكانت هذه أول مرة أراك فيها تبكي فبكيتُ معك ، أحرقتَ قلبي بدموعك وجعلتَني أتوه في مكاني محتارةً ما أفعل . . .

سـرحتَ بنظرك بعـيـداً ، وبقـيتَ صـامتـاً طويلاً ثم قلت : «أتدرين؟ عرفت كثيرات ، لكنيّ لم أبكِ على واحدة غيرك ، لا أتحمَّل غيابك ، ولا أفهم حتى معنى فراقك ، هل يكون للحياة طعم بلا ألوان؟ بلا براءة؟ بلا مشاعر؟ بلا حب؟ بلا حياة ؟ لا أريد ابتعادك أبدا ، لا تتركيني» .

أوجَعَتني كلماتك جداً وجَعَلَتني أفكِّر بالفراق . . .

: «لماذا تفكرُ فيه؟ أتودُّ الابتعادَ عني؟»

لم تكن بعـد قـد شـاهدتَ دموعي ، رفـعتَ رأسك وجننت عندما رأيتني أبكي . . .

: «لماذا تبكين الآن يا مجنونة؟ أنا لا أحتمل دموع جميلتي الصغيرة ، دموعك أغلى من أن تهدر على شخص مثلي ، صدقيني يا فرح» .

تنهّدتَ وأكملتَ حديثك : «لا أحب أن أراكِ إلا فرحاً كما عرفتك دائماً ، أساساً لستِ جميلة وأنت تبكين» .

التفتُّ نحوك وضحكت : «بالـله؟ يعني أنت اللي حلو؟ أصلاً يصح لك أن تكون مثلي»!

: «بس بلاش ، والله أنك حلوة حتى لو . . .ممـمم ، حتى لو كنت دون مكياج وبدأتَ تضحك»!

: «يعني هكذا»؟

ابتسمتَ وعرفتَ أنك لن تنجو مني وبدأتَ تركض وأنا خلفكَ مباشرة . . .

كانت نظراتك مليئة بالحب والدفء وكان فيها جواب عن كل ما أفكر ، أسندتُ رأسي لجذع شجرة ، وأخذتُ نفساً عميقاً بعد الركض الطويل ، ورجعت أحلم بك من جديد . . .

***

اليوم تعود أنت كما كنت وأعود أنا لما كنت عليه ، أعودُ لكل تفاصيلي دونك ، أعيشها بوحدة وألم ، لم يكن خبر وفاتك سهلاً عليَّ أبداً ، ولم أستطع تحمُّله تحت أي ظرف ، صدمتُ به كثيراً وجننت ، كنا قد افترقنا عند بداية الطريق نزلت أنا من السيارة بعد مشاحنات حصلت بيننا كالمعتاد ، وبينما كنتَ تحاول التفاهم معي وأنا أسير بجانب السيارة غاضبة ، مرَّت شاحنة كبيرة ، وكانت مسرعة جداً حوَّلت سيارتك إلى حطام ، سحقتها تحت عجلاتها وكأنها لم تكن يوما هنا ، وقفتُ مذهولة وصامتة لا أعرف ماذا أفعل ، بدأت أبكي وأصرخ لكنَّ صوتي تخلَّى عني في هذه اللحظة وآثر وداعي مثلما فعلت أنت أيضاً ، اقتربتُ من السيارة أو

بمعنى أصح من بقايا السيارة أنا ومجموعة من الذين كانوا في الشارع ، حاولوا سحبك وصرخ أحدهم : «لقد مات» . . .

***

أرهقتُ اليوم كثيراً وأنا أكتب عنك ، فأنا لا أكتب مجرد ذكريات ، أنا أحوّل ألمي حروفاً وأكتب فرحي كلمات ، سأذهب الآن لكي أصلّي العشاء ، لستَ مضطراً لتذكيري فأنا بالتأكيد سأدعو لك في صلاتي ، كما أفعل دائماً .

كان حلماً قاسياً محمّلاً بالألم والدموع والأسى ، حتى في أحلامي تكون مصدراً لألمي!

استفقت على صوت فيروز :

«أنا لحبيبي وحبيبي إلي . .

يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي

ولا يعتب حدا ولا يزعل حدا

أنا لحبيبي وحبيبي إلي»

كنتَ أنت من يتصل ، فهذه الرنة الخاصة بك ، وكذلك هي الرنة الخاصة بي على جهازك ، كنت أنت من اختارها ، لذلك أحببتها أكثر .

: «صباح الحب يا أحلى حبيبة بالعالم ، يا الله معقول في أحلى منك»؟

: «صباح النور»

: «ليش الحلو زعلان من الصبح»؟

بدأتُ أبكي دون أن أخبرك السبب ، كدتَ تجن لتعرف ما بي ، لم أقل أي شيءٍ عدا : «حتى الموت لا يبعدكَ عني» .

كدتَ تخرج لي من سماعة الهاتف لو تمكّنت ، فقط لتطمئن إن كنتُ أنا بخير ، فأجبتك : «المهم أن تكونَ أنتَ بخير»

: «حبيبتي أنا معكِ طول العمر إن شاء الله ، ولا أحب أن أراك حزينة هكذا ، أحبك يا مجنونة ، هيا دعي الحزن جانباً وتذكّري كلماتي ، ولا تنسي دراستك تناديكِ» .

فضحكتُ لأني تذكرت ما ورائي من مصائب ، «بداية يوم لا تبشر بالخير» قلت لك ، فعلّقت : «بلا تشاؤم وهيّا إلى المدرسة ولا تنسي مصروفك وربطة العنق» .

استطعتَ إخراجي من ذلك الجو الكئيب ، فبدأتُ يومي بتفاؤل ونشاط .

أذكرُ مرةً سألَتني وفاء إن كانت أحداثُ حياتنا تتأثر بالأشخاص أم بالمشاعر التي تشدّنا نحوهم؟ بالحب نفسه أم بالأشخاص الذين نوجّه لهم هذا الحب؟ فإن كنا نتأثر بمشاعر الحب لماذا لا نخلقها لأنفسنا ونعيش دائماً بتفاؤل؟ وإن كنّا نتأثر بالأشخاص فلماذا لا يكون لهم دائماً نفس التأثير الإيجابي أو السلبي على حياتنا؟

فأجبتها : «لو كانت الإجابة عن أيّ سؤال من أسئلتك نعم ، سنصاب بالملل من كل شخص قد يمر بحياتنا ، لأن الدوام على حال معينة مع من تحب سيصيبنا بالملل ، وأيضاً نحن لا نستطيع خلق تلك الأحاسيس لأنفسنا لأنها مرتبطة بمن حولنا ، وحاجتنا لها هي ما يدفعنا لحبِّ شخصٍ ما والتقرّب منه ، فلو تخلّصنا من هذه الحاجة وأصبحنا

قادرين على خلق هذه المشاعر سنمتلك إكسير السعادة بالتأكيد ، وسيرضى كلٌ منا بوحدته ، وسيفضّلها على كل المتاعب التي يواجهها مع من يحب ، لكننا لا نستطيع فعل أيٍ من هاتين ، ولهذا رضيتُ بحب نسيم وسلّمتُ له وخضت التجربة ، ولولا هذا ما تمكنت من تحصيل الخبرة ، وتفاديت الوقوع بنفس الألم مرتين . . .»

انتهى حوارنا بذهول وفاء من تحويلي الأسئلة العامة لحديث متعلّق بك ، واكتشفتُ وقتها أني مصابةٌ بك ، ولا أملك أيّ دواء حتى أُشفى ، وأظن أني لا أتمنى هذا الشفاء!!

رغم أنك تملأ كل أوقاتي ، إلا أني لم أتخلّى يوماً عن علاقاتي الاجتماعية الأخرى ، فلدي الكثير من الصديقات والمعارف ، لم أكن قد تحدثت عنك لأحد باستثناء وفاء ، وليس لدي أخوات لأتحدث عنك معهن ، لكنّي كنت أكتفي بالتحدث عنك معك ومعها ، فأنت أيضاً كنت خير من سمعني ، حتى دون حاجتي للحديث!

***

أمي تحب الشعر كثيراً ، وتحبُّ الأدب بشكل عام ، هي عكسك تماماً ، فأنت والقراءة كلٌ منكما في وادٍ كحال الكثير .

كنتَ دائماً تقول لي : «أحب الشعر في حالةٍ واحدة» .

: «ما هي»؟

: «عندما يكون بصوتك يا أعذب صوتٍ سمعته أذني» .

كنتُ معتادةً أن أقرأ لك أي قصيدة تعجبني حتى أشاركك هذا الإعجاب ، كنتُ أقرأها بأسلوبي الخاص وكنتَ تحب هذه المشاركة وهذا الأسلوب .

وكنتَ دائما تحب أن أكرر لك قصيدةً واحدة ، كثيراً ما تطلبها مني ، تحبها بصوتي ، وأحبك أنا أيضاً .

: «فرّوحتي ، أسمعيني قصيدتي المفضلة»

: «ألا تملُ منها»؟

: «كلما تلفظين حرفاً من حروفها يزداد حبي لكِ أكثر» .

: «إذن اسمع :

والله إني ما أتِمَنى في حياتي إلا شي . .

إنِّي أملك كِلْ هالدِّنيا بإيدي . .

ما أسمعك في يوم تنطق . . كان ودِّي . .

قبل لا تحلم أحقِّق . . وقبل لا تحكي أقول . .

وقبل لا تشكي همومك . . لك أجي وكلِّي حلول

وليت كل هالكون بإيدي . . لأجل أحقق ما تبي»

***

علمتني أمي عادةَ المطالعة منذ الصغر ، نشأتُ مع هذه العادة وأحببتها جداً حتى باتت جزءاً لا يتجزأ من تفاصيل يومي ، ولو كنتُ في قمة الانشغال أو التعب ، فلا يهدأ لي بال قبل أن أقرأ على الأقل صفحة واحدة ، وأتذكّرُ دائما قول أمي :

«القراءة أفضل عمل يمكن أن يفعله الشخص وأكبر هدية يقدّمها لنفسه ، وهي السبيل لأن يكون الفرد متميزاً بين أقرانه» .

هذا هو ما دفعني أكثر للمثابرة عليها حتى تعلقت بها ، ورغم حبي

هذا وميولي للهدوء والانعزال في وقتها ، إلا أني كنت شقيَّة جداً ، حياتي كلها مشاغبة وشقاوة وضحك وكأنَّ عمري عشر سنين لا أكثر! هذه طبيعتي ، دائماً ما يكون شعري مسدولاً على ظهري ولا أحب تقييده أبداً ، أحبه حراً كحبي للحرية بالمطلق ، فهوائي يطل من نافذة الحرية ولولاها لم أكن على قيد البقاء والاستمرار .

أعرف أني أحاول الهروب منك قليلاً أثناء كتابتي الآن ، لكنك صيّادٌ محترف ، تعيدني لذكرياتك بسرعة .

كان يومَ خميس ، عندما اتصلتُ بك مساءً وسألتك :

: «نسيم ، ماذا كنت ترتدي اليوم»؟

: «غريب سؤالك ، كنت أرتدي قميصي الأزرق وبنطالي الكحلي ، لماذا»؟

: «هل خرجت اليوم من المكتب»؟

: «فرح ما بكِ»؟

: «رأيتك اليوم وأنا عائدة للمنزل ، كنتَ تمشي مع فتاة لا أعرفها ، فلا تقل لي أنها أختك أو حتى من العائلة» .

: «حبيبتي فرح أنا لم أخرج من مكتبي اليوم صدّقيني ، إنه خيالك مجدداً ، إلى متى ستبقين على هذه الحالة؟ أقترح عليكِ اللجوء لطبيب» .

: «لستُ مجنونة ، أنا متأكدة أني رأيتك» .

بغضب كبير : «انتهى الحديث عن هذا الموضوع ، لستُ أنا من رأيته ، ارتاحي يا شكّاكة» .

لم أكن أتخيّل ، ولست بشكاكة ، رأيتك . . . متأكدة أنِّي رأيتك ،

لكنَّك دائماً تراني مجنونة عندما يتعلق الأمر بإحدى خياناتك!

كان حبكَ لي مجنوناً مثلك، لا أدري كيف تحبني وتلحق بي كل هذه الخيانات؟! أدرك أنك تحبني وأرى هذا في عينيك وفي اندفاعك، في قربك . . . لكنّي أبداً لا أفهم تصرفاتك!

***

في فترة من الفترات بدأتَ تغيبُ عني باليوم واليومين والأسبوع بل وأكثر، كنتُ أستغرب هذا الغياب لكنّي لم أتوقعه أبداً نوعاً من أنواع الخيانة، الخيانة المشروعة في نظرك !!

بعد أن أصبح غيابك متكرراً، مللتُ السؤال وبدأت أشعر أن هناك شيئاً قد حدث، وكسرَ في داخلي الكثير، كنتَ تغيب كل هذا الوقت لكنّك لم تبعد عني في أي ليلة، ففي كل مساء كنت تتصل بي كالعادة تخبرني بأنك لازلت تحبني وأنّ بعدي مؤلم حقاً وتذهب . . .!

ألم أخبرك بأنك غريبٌ جداً؟!

مرَّ على هذا الوضع قرابة الثلاثة شهور، وفي وقتها ذهبتُ لزيارة صديقتي وفاء، كعادتنا في كل سنة نحتفل بعيد صداقتنا في نفس التاريخ في بداية شهر يناير.

كانت وفاء قد دعت أكثر من صاحبة لها للاحتفال معنا على غير العادة، كانت الحفلة جميلة والفتيات لطيفات جداً، من ضمن المدعوات كانت فتاةٌ جميلة جداً، لم أستطع رفع عيني عنها، لم أرَ بحياتي كجمالها هي فعلاً الأكثر جمالاً بين الحضور، فتاة متوسطة الطول، بيضاء البشرة ذات شعر أسود، وعيون زرقاء واسعة جداً ورموش كثيفة وطويلة.

عندما عرّفتني وفاء على صديقاتها، كانت هذه الفتاة من ضمنهن :

وفاء : «فرح أعرِّفكِ بسلام جارتنا في العمارة المقابلة»

فرح : «أهلا سلام ، اسمٌ جميل ، تشرفت بمعرفتك»

سلام : «أنتِ أجمل ، وأنا تشرفتُ بكِ أكثر»

كم كان لها من اسمها نصيب ، عكسك تماماً يا نسيم فهي بالفعل سلامٌ وطمأنينة ، أما أنت . . . .!

تحدثت قليلاً معها حتى قاطعتْ حديثنا رنة هاتفها وذَهَبَتْ لتجيب ، جلستُ مع وفاء وسألتني :

: «هل يعرف نسيم أنَّك هنا»؟

: «بالطبع ، تعرفينه يحب أن يعرف مكاني خطوة بخطوة» .

لم تعلِّق وفاء على الموضوع فقد باتت تكرهك جداً بعد ما فَعَلَتهُ بي مكالمة الخيانة الأولى . . .!

***

كانت عادة نور أن يكتب لي على دفتري الكثير ، ولا يسمح لي بقراءة ما كتب إلا بعد أن يذهب ، كان طبعه هذا يعجبني ، ولا أنسى مرةً أخذ فيها الدفتر وكتب لي ثم قال :

«ألّفتُ لكِ قصيدة عبَّرت عن ما بداخلي ، أتمنى أن تعجبك « .

لم أعلِّق على كلامه ، وتشوقت للقراءة ، فنور ذوّاق للشعر وإحساسه جميل ودافئ ، غادرتُ الجامعة وركبتُ الحافلة ، جلستُ بجانب النافذة وبدأت أقرأ :

(كلّنا عشاق لكن ، إنتِ لا ما إنتِ معايَ

لمّا تجمعنا الأماكن ، تاخذك مني المرايا . .

أوعد عيوني بشمسك ، وتوعدي نفسك بنفسك

ما ملك عقلك وحسّك لا أنا ولا سوايَ

كلنا عشاق لكن ، كلنا نحبك . . . نحبك

وإنتِ جرحك فيَّ ساكن وأنا همي برّا قلبك!

امشي لو نصف المسافة . . وقّفي بينك وبيني

اكسري كل المرايا إنتِ أجمل وسط عيني

يللي مشغولة بروحك من خذا قلبك وروحك؟

هو أنا وإللا سوايَ ؟؟

كلنا عشاق لكن ، كل واحد له حكاية!)

نزلت دموعي رغماً عني عندما قرأت هذه الكلمات ، ولم يكن بوسعي إلا البكاء حزناً واستغراباً من حال الحب . . .!

قبل قليل كنتُ في المطبخ أعدُّ شاياً حتّى أحتسيه وأنا أدرس ، لم يكن ببالي أن أعود للكتابة لك في ذاك الوقت ، فدراستي تشغلني كثيراً هذه الأيام ، لكن وعلى ما يبدو كل الظروف لصالح ذكراك اليوم ، فهناك رابطٌ قوي بينك وبين رائحة النعناع مع الشاي فتذكرتك . . .

تذكرت عندما كنت أراك حزيناً ، فأقوم ببراءة وأسألك

: «ما بك؟ لماذا لست كعادتك؟ ماذا حدث»؟

: «لا شيء يا شقا عمري»

: «لماذا لا تخبرني ، ما الذي يمنعك»؟

: «لن تفهميني يا فرح»

: «طيّب جرب مرة وإن لم أفهمك لا تعيد التجربة» .

بعد نفس عميق تتبعه تنهيدةٌ طويلة

: «أشعر أني أختنق ، العالم بأسره يضيق بي ، ضغط في العمل والمنزل ، حتى معكِ ليس الوضع كما أتمنى ، لن تفهميني» .

وتُغَير الموضوع مسرعاً ، لماذا تستهين بي؟ لماذا تشعرني بأني لستُ جزءاً مهماً في حياتك ، لماذا تصمم على إبعادي عن تفاصيلك ، مع أنك في كل تفاصيلي!

دائماً تقول لي :

«أشعر أنك أمي ، لا تستغربي ، فأنا أشعر بحنانكِ أنك مثلها ، قربكِ ، خوفكِ علي ، تمسككِ بي رغم أخطائي ، دائماً ما أشعر أنكِ لستِ فقط حبيبتي ، نعم أنتِ أمي التي ألجأ لها عندما أكون مهموماً ، صحيحٌ أني نادراً ما أخبركِ عما بي ، لكنّي أكتفي برؤيتكِ لأرتاح ، حتى عندما أفعل شيئاً خاطئاً أركض وأحتمي بكِ ، أشعر أني أنا الذي أحتاجك لا أنتِ ، أحتاجكِ كثيراً يا شقا عمري» .

عندما سمعت كلامك هذا أشعرني بالقوة وجعلني أصدّقك ، لكني اليوم صدّقتُ أن الكلام يبقى كلاماً لا أكثر ، كما غنّت فيروز :

أتاري الكلام بيضلو كلام . . . وكل شي بيخلص حتى الأحلام

والأيام بتمحي أيـــــام . . . .

***

في مقالة منشورة اليوم لـ د .أحمد غسان ، كان يتحدث عن مَنحنا الثقة المطلقة للآخرين ، ويتساءل عن سر تعلّق الأبناء بأمهاتهم؟ عن تلك الثقة التي يشعرون بها تجاههن ، الثقة العمياء التي لا يمكن لأحد أن يهبها لأي شخص كالأم ، بعد أن قرأتها أدركت فعلاً أن أمي هي الأمان وكل الثقة ، لكنّي أخذت أفكر في سر حبي لك ، وتعلّقي بك ، ودخولك لحياتي رغم أني كنت مكتفية بقرب أمي وأبي وبعض صديقاتي!

لم أجد أي إجابة سوى أن دخولك في حياتي أثار فوضى كبيرة في داخلي ، غيّرت كل مفاهيمي ومشاعري ، وأجبرتني على خوض التجربة ، تجربتي معك .

كان وجودك دافعاً قوياً لي حتى أنجز أحلامي بسرعة ، لكنّي لم أكن أعلم أن أحلامنا يجب أن لا تعتمد على أحد حتى لا تكون مبنية على أساس هشٍّ سهل التكسر ، فإن تكسرت عاش من حَلِمَها بغربة قاسية ، والغربة عن الأحلام والنفس والأمنيات موجعة جداً كشخص ضاع في الزحام ، وتاهت خطواته ، لا يدري أين البداية أو النهاية ، أحلامه في مكان وهو في مكانٍ بعيد تماماً ، فقد خريطة الطريق ، ولا يعرف الوصول للمكان ، لأنه لا يعرف السبيل له ، لا يعرفه لأنه غريب ، وهذا تماماً شعوري الآن معك!!!

***

حان الوقتُ الآن لكي أكتب لك عن أغلى ما كنتُ أملك :

صندوقٌ أحمر صغير ، أحتفظ به في خزانتي بين ملابسي ، وأرعاه أكثر من أي شيء في حياتي ، غلافه مخمليٌ أحمر وله قفل صغيرٌ يحمل حرفي .

في علبة ذكرياتي هذه أحتفظ بالكثير منك، دفترٌ كتبتُ عليه كل رسائلنا الهاتفية ، وورقة كتبَتها لي بقلمك ، وسيجارةٌ أخذتها منك تحمل عطرك ، وصورة وحيدةٌ جمعتنا ، وزجاجة عطرٍ شبه فارغة ، ومفتاحي الذي أعطيته لك ، ونصف ورقةِ شجر لا أعرف نوعه ، وشالٌ أبيض وساعة . . .!

أما الدفتر فهو يحوي الكثير ، يحوي كل الأحاسيس التي عشتها معك ، قصصنا ملخصة ، تواريخ المواعيد الهامة في علاقتنا ، فتحته قبل قليل ، وكنت قد نسيت ركناً منه صدمت به وخفق له قلبي كثيراً .

كانت ورقةً من شجرة تين . . . .

: «حبيبتي ، والله أنت غريبة هل يوجد شخص لا يحب التين»؟

: «و من قال أني لا أحبه ، أنا فقط أتحسس من أوراقه»

: «حتى لو كتبتُ لكِ عليها»؟

ابتسمتُ وأجبتك : «مممم ، أُفكر « .

مع ضحكتك الخبيثة وضحكتي المستفزة قررنا أن نجرب . . .

كتبتَ لي : «كل عامٍ وأنت حبيبتي . . كل عامٍ وأنا حبيبكِ»

لم يكن يومها عيداً ، لكنك اعتبرته كذلك فقط لأني سأتعامل مع التين ؛ فاكهتك المفضلة .

ربما نسيتُ أمر هذه الورقة لكنَّ الصندوق قام بالغرض وذكّرني الآن بها .

أما الورقة التي كتبتَها لي بقلمك كانت :

«حبيبتي فرح ، أعلم أنّي أخطأت ، وأعلم أني جرحت قلبكِ ، لكني نادمٌ جداً وأحبك جداً جداً جداً ، أرجوا أن تسامحيني وأن يكون لي في

قلبك قدرٌ من حبٍ واحترام» .

لا أعلم لما كتبتَ أرجوا بألف؟ لكنّها كـانت سبباً في ضحكنا على هذه الرسالة التي كانت آخر رسالة كتبها لي بقلمك .

كنتَ تحب التدخين ، وربما تحبه أكثر مني ، لطالما خيّرتكَ بيني وبينه ، كنتَ ترفض هذه المقارنة باعتبارنا ـأنا والدخان ـشيئان رئيسيان في حياتك لا يمكن الاستغناء عنهما ، لكنك استغنيت عني ولم تستغنِ عنه أبداً ، ربما لأنه على حد قولك يجعلك تصبر على الكثير مني ومن الحياة!

وكعادتي في كل لقاءٍ لنا كنت أسحب منك أي سيجارة تود توليعها وأرميها أرضاً حتى يجن جنونك ، أما هذه المرة خبّأتُ السيجارة بعد أن سَرَقَت قليلاً من عطرك ، ووضعتها في حقيبتي ، لم أنتبه أني لم أعدها لك ، وبذلك بَقِيَت معي حتى تكون جزءاً من صندوق الذكريات .

كلما اشتقت لك ذهبت للصندوق وأخرجت الصورة ، وكلما مسكتها بكيت ، صورتنا التي التقطها لنا ولدٌ صغير ، كانت عفويةً وطفولية مثله تماماً ، أحببته جداً وقبّلته ، فكدتَ تقتلني بعدها ، لذلك لم أكررها في حياتي .

جلسنا على الأرض ، كنتَ تلبس معطفاً أسود وقميصاً أبيض اللون ، وكنتُ ألبس نفس الألوان دون اتفاق مسبق بيننا ، كان الجو بارداً لكنها لم تكن تمطر ، مع مرور الولد الذي طلبتَ إليه ـدون أن تأخذ رأيي ـأن يقوم بتصويرنا ، والتُقطَت الصورة وباتت الآن جزءاً من صندوق ذكرياتي ، ولا أدري ماذا فعلتَ أنتَ بنسختك لكنّك كنتَ تضعها في كل مكان يمكن أن تراه باستمرار ، وعلى شاشة حاسوبك وهاتفك .

الشال الأبيض ؛ أكثر شالٍ كنتَ تحبه من ملابسي وتطلب مني دائماً أن ألبسه ، كنتُ أضعه على كتفي قبل أن تسرقه وتبدأ باستنشاقه حتى

تكاد تسحبه مع أكسجينك ، في كل مرة يكون قريباً منك أكثر مني وفي كل مرة أتمنى لو أكون مكانه ، لذلك أحتفظ به في صندوقي الصغير برائحتك .

أما عن شقاوتك وتدخينك سرّاً ، فقد كنتَ تحمل زجاجة عطر معك دائماً حتى تغطي رائحة الدخان ، وفي مرة كانت زجاجة عطرك مشرفة على الانتهاء ، لكن لا يزال فيها القليل ، قلت لي :

«اليوم سأهديكِ شيئاً ثميناً ، وبالمناسبة سأسألكِ دائماً عنه ويا ويلك إذا أضعته فهمتِ يا بنت»؟

أضحكتني عندما اكتشفت أن الزجاجة هي هديتك الثمينة ، وضعتَها في حقيبتي ومن وقتها وهي داخل الصندوق أتفقدها بين الحين والآخر .

أما نصف ورقة الشجر ، فكان وسيلة رائعة لجمعي بك بعد الفراق . . .

كنا نقف يومها تحت شجرة _لا أعرف اسمها _منسجمين في الحديث عندما اكتشفت أنك تقطع من أوراق الشجرة وتأكل! بدأت مذهولة أضحك ، فقطعتَ ورقة وقسمتَها إلى نصفين احتفظتَ بنصف وأنا بنصف ، وبعد مرور وقتٍ من فراق سبَّبتهُ خيانتك المعهودة ، رأيتُ الورقة في الصندوق ؛ التقطتُ لها صورة بهاتفي ودخلت إلى حسابي على فيس بوك وكتبت : «البعض يظن أنها مجرد نصف ورقة ، لكنها نصف قلب ينتظر نصفه الآخر» ، وأرفقتُ مع الكتابة صورتها ، فاجأتني بعدها بقليل وحمَّلتَ صورةً لمقعدنا في الحديقة وكتبت : (البعض يظن أنه مجرد مقعدٍ في حديقة ، لكنه حبيبٌ ينتظر رجوع روحه بكل ألم) .

لم أمسك دموعي وبدأت بالبكاء ، اتصلت بك وصوتي مختنق

: «أحبك كثيراً»

: «و أنا أكثر ، كيف خطرت ببالكِ الورقة»؟

: «كما خطر ببالكَ المقعد ـ لكن متى صوَّرته»؟

: «ذهبتُ البارحة للحديقة ، كنتُ متألماً جداً يا فرح ، صُورَتهُ وهو فارغ تحرق قلبي ، توجعني جداً» .

عدنا مجدداً . . .عدتُ لك وكأنَّك لم تفعل بي أي شيء أبداً ، لكني معذورة ، فقد كنت أحبكَ بأمل غير منقطع ، وشوق جبار . . . مثلك تماماً .

أتدري . . .؟ إلى الآن لا أزال عاجزة عن معرفة سر حبي الكبير لك ، وتعلقي غير المبرر بتفاصيلك ، ما الذي دفعني لحبك؟ وما الشيء المميز الذي جعلني أتعلق بك هكذا رغم كل ما تفعله بي ، صدقاً لا أعلم . . .!

الساعة أيضاً لونها أبيض ، أهديتها لي قبل عيد ميلادي بيومين حتى تكونَ أول هدية تصلني ، كانت ضمن مجموعة من الاكسسوارات والورد لكني لم أهتم كثيراً إلا بها فقد كانت تحمل حرفك ، أنت نقشته عليها عندما اشتريتها حتى أتذكرك مع الوقت ، لكني لم أكن أبداً بحاجة أي شيء يذكرني بك ، أنا في الحقيقة بحاجة لما ينسيني ذكرك ولو لدقيقة!

كنتُ أشعر بسعادة كبيرة عندما بدأتُ الاحتفاظ بكل هذه الأشياء ، وكأني أبني بيتي معك ، أو كأني أكرِّس حبك لي ، شعرت بأن ذكرياتنا ستبقى معنا للأبد ، شعرت أنها بهذه الطريقة لن تفارقنا ابداً ، وانتظرت المزيد حتى أضيفه للصندوق إلى أن أصبح معك وأبني ذاك البيت حقيقة .

***

نور أكبر مني بسنتين تقريباً ، كان هادئاً متفهِّماً حاملاً للمسؤولية ، صوته في أغلب الأحيان منخفض ويحب الهدوء ، كان يميل للأغاني الطربية أكثر من الشبابية مثلي تماماً ، لكنه كان مدمن تدخين ، يدخّن بجنون لم أره من قبله ، كان حنوناً معي قريبا لمشاعري ، يحس بي دون أن أتكلم ، وربما أنا الأنثى الوحيدة التي لا تتكلم بهذا القدر أنا الأنثى الغريبة التي اختارت الصمت .

عندما التقيت بنور كانت علاقتي بك منتهية ، لكنني رغم ذلك لم أشعر أن علاقتي به تعدت حدود الزمالة ، ربما هو أحبني لكنني لم أشعر يوماً معه بهذا الشعور ، ولطالما كنتُ مبادرة بتوضيح حدود العلاقة ، وجوده في حياتي لم يبعدك عن تفكيري ، بل جعلني أتَّزن نوعاً ما وأَرسى لدي قواعد الهدوء ، فمشاعري كلها كانت عالقة بك ، متورطة حتى آخر نفس فيها .

***

وحيدة أنا الآن جداً ، أكتب حروفي لعلها تواسيني قليلاً وتخفف عما بي ، لا أملك أحداً لأتحدث معه ، وليس لدي ما أحكي فيه ، بت الآن أسمع موسيقى غربية بلغة لا أفهمها ، ربما لأني لا أفهم مشاعري ولذلك لا أعرف ما يناسبها فأهرب منها إلى جوٍ لا أفهمه ولم أعرفه من قبل .

عندما التقط لنا ذلك الولد الصغير الصورة الوحيدة وغادر ، سألتكَ مع ابتسامة طفولية لا أبتسمها إلا إذا أردتُ أن أتشاقى

: «كم ولداً تريد أن ننجب»؟

: «و من قال أننا سنتزوج؟ أنا لا أتزوج فتاة قبلَّت غيري ، حتى وإن كان طفلاً صغيراً»

ضربتك بعود شجرٍ كان على أرض الحديقة وقلت : «بلا مزاح الآن» .

: «لا وكمان شريرة وبتضرب»!!

: «أووووف منك ، هيا تكلم» .

: «شوفي يا صغيرة ، أنا لا أريد الكثير من الأطفال فقط دزّينة من الأولاد ودزّينة من البنات» .

: «نعم ، نعم؟ لم أفهم ما قلت»!!

أجبتني بسخرية وضحك : « لا تحاولي إقناعي لن نزيد العدد أبداً» .

: «نسيم ، يكفي مزاحاً» .

: «ما بكِ يا شريرة ، أنا جاد لا أمزح» .

: «طبعاً فأنت لستَ من سيتعب في إنجابهم وتربيتهم» .

: «أنا دوري الأهم ، سأصرف عليهم يا حبيبتي ، يا الله يا معين عليكِ وعلى أولادكِ» .

: «تفتقد الكثير من الرومانسية على فكرة» .

: «طيّب ، طيّب مثلما تريدين ، أنت كم طفلاً تريدين أن ننجب»؟

: «ثلاثة ، ولد وبنتان»

: «فقط!! لا يكفون لشيء ، ماذا أفعل بهم هؤلاء؟ زيديهم حبيبتي ، زيديهم الله يخليكِ» .

: «ألم أقل لك أنك بلا إحساس ورومانسية»؟

: «طيّب ماذا ستسميهم يا رومانسية أنتِ»؟

: «أنتَ ستسمّي الولد على اسم أبيك طبعاً»

: «نعم صحيح سأسميه على اسم الغالي ، سأكون أبا أحمد يا أم أحمد ، كم أنا جميل وأنا أبو أحمد إحم إحم»

ورفعتَ حاجبك وغمزتني .

ضحكتُ : «مـــا أهضمك ، طيّب والبنات»؟

: «أسميهن أنتِ ، أنا سمحت لكِ» .

: «شكراً على الكرم الكبير ، أفكّر بياسمين ، ومها»

: «جميل ، وأعتقد أنهنّ سيكنّ جميلات مثلك تماماً يا أحلى أم في العالم ، لأربعة أطفال» .

: «و من أين أتى الرابع»؟

: «أنا يا حبيبتي وإللا نسيتني» ؟!

مـرّ على هذا الحـديث أكـثـر من ثلاثِ سنين ، وإلى الآن لم يأتِ أحمد ، ولا ياسمين ، ولا حتى مها ، تأخروا كثيراً وأعتقد أنهم لن يأتوا أبداً ، حتى لو انتظرتهم العمر بطوله!

***

بعد فترة من حفلتي أنا ووفاء ، زرنا سلام في بيتها لأول مرة ، بيتها جميلٌ جداً ، كبير ، مرتب وألوانه منسقة ، عندما دخلته شعرته مألوفاً بالنسبة لي ، وفيه كل ملامح الجمال . جلسنا في غرفة الاستقبال ، غرفة كبيرة لون ستائرها أحمر وأسود وكذلك السجاد ، ألوانها متناسقة وتشبه لحد كبير ترتيب غرفة استقبال الزوار التي حلمنا بها وخططنا لتكون جزءاً من بيتنا المستقبلي أنا وأنت ، وخطر ببالي ما قرأته مرة : (من الجميل أن تحقّق أحلامك مع من تحب ، لكن الألم الحقيقي أن تجد حلمك هذا قد

حققه من تحب ولكن مع غيرك . . .!)

وتساءلت : «هل يمكن أن نشعر بنفس السعادة التي كنا سنشعرها لو حققنا أحلامنا مع الذين بنيناها معهم ولأجلهم ، كما لو حققناها مع الغير . . .»؟

لا أدري لماذا شعرت أني لن أحقق أحلامي معك أبداً؟!

أثناء شرودي هذا وتأمُّلي للبيت خطر ببالي أن سلام لا تعلّق أي صورة لها ولزوجها ، غير أننا لم نكن قد تحدثنا عنه وعن علاقتها به بعد ، فلا أعرف اسمه ولا عمره ولا حتى عمله ، فسألتها : «كيف زوجك؟ لم نتحدث عنه قبل هذا»

أثنت وفاء على سؤالي ، لأنها هي أيضاً لا تعرف شيئاً عن زوج سلام ، ولا عن تفاصيل حياتها ، وهذه أول مرة تزورها مثلي تماماً .

أثناء سؤالي اتصلت والدة وفاء بها واضطرت للمغادرة ، لكن سلام لم تسمح لي بالمغادرة فبقيت وأكلمنا الحديث . . .

غادرت سلام الغرفة قليلاً ثم عادت تحمل مجموعة صور بيدها ، جلست بجانبي وأضافت لكأسي القليل من الشاي ؛ أعطتني الصور وقالت : «هذا زوجي ، وهذه صور حفل زفافنا» .

ابتسمتُ وقلت : «سأتعرّف إلى الرجل المجهول؟» .

قاطَعَتْ ضحكتي الساخرة رؤيتي لأول صورة ، توقفت مذهولةً عن الضحك ، ولم أعرف ماذا حصل ، هل توقّف العالم الآن عند هذه اللحظة؟ أم توقفت اللحظة عندي أنا وفقط في قلبي؟

أتدري يا نسيم؟ كلما أتذكر هذا الموقف أشعر بنفس الشعور ، ترتجف

يداي بنفس الطريقة ، تدور بي الدنيا تلف بي كل الطرق ، تحملني إلى كل العوالم وأعود . . .

أعود لأسمع سلام : «ما بك يا فرح؟ أنتِ بخير»؟

لكم وددت أن أخبرها بأن كل ألم العالم مجتمع في قلبي الآن ، نظرت إليها مذهولة لا أعرف ما علي أن أجيب؟ هل تعرفُ من رأيت في الصورة؟ هل تعرف من كان؟ أم أنك كالعادة لا تعرف إلا ما يهمك أن تعرفه؟

هل تود أن أخبرك؟ أم أن الوقت لا يزال باكراً على هذه الصدمة؟

عندما غادرتُ يومها بيت سلام ، نمت يوماً كاملاً وليلة بطولها ، فقد كنت بحاجة ربما للهرب أو ربما لفرصة أكبر حتى أحلم بأي شيء غير مشوَّه ، أي شيء لا يشبه هذا الواقع المرير .

لا أنكر أن عيناي كانتا مغلقتين ، لكن قلبي كان مشغولاً وعقلي لم ينم أي دقيقة ، استيقظت على صوت أمي وهي تمسح على شعري وتقول :

: «حبيبة ماما نائمة كل هذا الوقت؟»

: «صباح الخير»

: «صباح النور ، ما بالكِ ، هل أنتِ مريضة»؟

: «لا لست مريضة ، لكني كنت بحاجة للنوم» .

: «إذاً هيا يكفيكِ كسلاً قومي حتى نفطر ، أعددتُ لك فطائر لذيذة» .

كنت أحب الفطائر ، خصوصاً عندما كنت آكلها معك ، كنا نأكل وكأنا لم نأكل منذ سنين ، ودائماً كنتَ تقول : «إن تزوجنا سنصبح كالفيَلة من كثرة الأكل» .

ضحكت وأجبتك : «لكنك ستبقى أجمل فيل في عيوني» .

أجبتني : «أنا فيل؟» وضحكت . . «لا يوجد أجمل منكِ يا فيلتي الحبيبة» .

ومن يومها استجد لكل واحد منا اسم جديد .

***

ليتني نسيتك يوماً ، ليت كرهي لك زارني قبل زيارتي لسلام ، ليتني لم أعرفك!

سألت سلام : «متى تزوجتِ»؟

: «قبل ثلاثة شهور» .

زادت صدمتي الأولى صدمة ، كم كنت حمقاءً ، كيف لم أشعر؟

شعرتُ أن كل ما حصل في الماضي كان كقصرٍ عالٍ بنيته في أحلامي والآن تحطّم وسقط على رأسي ، لم أفهم أبداً معنًى وجودك في الصورة ، لكنها واضحة ، يبدو أنك أنت زوج سلام ، سلام التي تشبه الملائكة .

أطفأتني مبكراً يا نسيم ، لم يتسنَ لي حتى أن أشاهد شمعتي وقتاً طويلاً ، خنَقتها مبكراً وأحرَقت بها كل أحلامي معك .

: «ما اسم زوجك يا سلام»؟

بابتسامة أجابت : «نسيم ، ما بالكِ يا فرح أليس جميلاً؟ ألم يعجبك»؟

: «بلى ، لكني لم أتخيل أنه سيكون وسيماً لهذا الحد في يوم عرسه» .

: «هل تعرفينه يا فرح»؟

باندفاع كبير : «لا ،لا أعرفه أبداً ، ولم أره يوماً» .

أكملتُ مشاهدة الصور وحاولتُ بقوة خنق دموعي وصدمتي ، ليس من أجلك بل من أجل مشاعر سلام ، التي لم تخفْ عليها أنت .

: «الصور جميلة جداً تليقان ببعضكما كثيراً» .

لا أنكر أبداً أني إلى الآن أشكُّ بأني لا زلت أحلم .

قاطعتَ أفكاري باتصالك ، لكنّك هذه المرة لم تتصل بي ، بل اتصلتَ بزوجتك التي ولأول مرة بالنسبة لي لم تكن أنا ، فأنت الآن متزوجٌ من غيري ومرتبطٌ بها بأكثر من قلبٍ وخاتمٍ وعرس ، أنت الآن زوج سلام ، وللمرة الثانية خيانةٌ مع صديقتي!

قلبي يؤلمني كثيراً والدمع يحرق عيني وأمسكه بقوة ، روحي عالقةٌ بين الأرض والسماء ، عالقة بتلك الدمعة التي أحبسها في عيني ، وأنفاسي تضايقني وتأبى الخروج من صدري لتبرِّد ناري قليلاً ، أكاد لا أشعر إلا بالألم وأتساءل لماذا تفعل بي كل هذا؟ لم أقدم لك إلا كل الحب ، كل الدفء وكل اللامبالاة لجروحك التي تكبر كل يومٍ بداخلي .

كم كان نور مختلفاً عنك ، على قدر ما آلمتني ، على قدر ما حاول تخفيف هذا الألم ، لكني لم أستطع تخفيف ولو القليل مما يعاني لأجلي وبسببي .

مع كل يوم يكبر احترامي له أكثر ، ويكبر في عيني أكثر كم كان رجلاً بمعنى الكلمة ، كم حاول حمايتي حتى من نفسه .

***

بعد انتهاء مكالمة سلام معك ، عادت مبتسمة وجلست بجانبي ، فسألتها : «كيف تعرفت إليه؟»

: «صدفة أكثر من غريبة» .

: «شوّقتِني ، أريد المعرفة» .

لا أحب التمثيل ، لكني مضطرة الآن ، عليَّ أن أعرف تفاصيل خيبتي بك أكثر .

: «أنا وحيدة أهلي يا فرح ، توفيت أمي مبكراً وأنا صغيرةٌ جداً ، تحمّلت مسؤولية البيت ، وعشت حياةً مملة أنا ووالدي ، والدي كبيرٌ في السن ، لم يكن قريباً مني ، بل كان متعصباً جداً منفرداً ، دائم الحزن ، ويحمّلني سبب موت أمي ، فقد توفيت أثناء ولادتي ، لم ترني أبداً ولم أرها أنا إلا من خلال الصور ، حرمت منها دون أن أتذوق ولو القليل من حنانها ، رحلت وتركتني أقاسي وحدي في هذه الدنيا ، ليس لدي رفيقات غيرك أنت ووفاء الآن ، ونسيم الذي بات بالنسبة لي كل العالـم .

: «و لماذا لم تتوجهي للدراسة والعمل»؟

: «لم أكمل دراستي بعد الثانوية العامة ، فانا لم أجتز كل الامتحانات ، لذلك لم أتقدم للجامعة ولم يكن وضعنا المادي يساعدني ولو قليلاً حتى أكمل دراستي ، لكني برعت في الخياطة ، التي علمتني إياها معلمة التربية المهنية في المدرسة ، طورت نفسي بها وقررت أن أساعد والدي في مصروف المنزل ، فكنتُ أذهب لخيّاطة تسكن الطابق الأسفل من عمارتنا في كل ليلة ، نبدأ بالعمل أساعدها وتعطيني أجري ، وكان هذا أفضل لي من الجلوس وحدي في المنزل أنتظر عودة والدي من عمله .

وفي ليلةٍ من تلك الليالي كان الجو بارداً ، كنتُ عائدةً إلى البيت من عند جارتنا ، صعدتُ الدرج وعندما وصلتُ باب الشقة ، كان نسيم خارجاً من الشقة المقابلة لشقتنا ، لفت نظري وكان يبدو هادئاً وبمزاجٍ جيد ، ابتسم لي وألقى التحية ورحل» .

: «و ماذا حدث بعدها»؟

: «أصبحت أراه في العمارة كثيراً ، حاول التحدث إلي مرة ، وعرّفني بنفسه وقال :

: «مساء الخير»

: «أهلا مساء النور»

: «أنتِ تسكنين هنا»؟

: «نعم ، أتريد مساعدة»؟

: «لا شكراً لكِ ، لكن تمنيتُ الآن لو أسكن هنا ، حتى أرى هذا الجمال في كل وقت وحين ، لكنني للأسف لا أسكن هنا ، هذا منزل صديقي خالد ويبدو أني سأزوره كثيراً في الأيام القادمة» .

ضحكتُ عليه وأخجلتني جرأته ، وأعجبني شكله وأسلوبه عندما سألني باندفاع :

«أنا نسيم ، وأنتِ»؟

بارتباك أجبته : «أنا سلام» .

وأنهيت الحديث ودخلتُ المنزل» .

فرح : «ها ، وماذا حدث بعد ذلك»؟؟

لا شيء استمر على هذه الحالة تقريباً أسبوع ، إلى أن تجرأ مرة وأعطاني رقمه وقال :

«إن احتجتِ لأي شيء لا ترددي بالاتصال ، سأكون بالخدمة» .

«كنت أعرف أنها حجة ، ولا أنكر أبداً أني بدأتُ أغرم به من وقتها ، اتصلت به بعد يومين وبدأت علاقتنا» .

: «هكذا تزوجتم»؟

: لا ، حدثت مشكلة كبيرة بيني وبين والدي ، كان سببها أنه سمعني وأنا أتحدّث مع نسيم على الهاتف ، كاد أن يقتلني ليلتها وكأنّه إعصار يحضّر نفسه منذ سنين ، عرف نسيم ما حدث من صوت أبي ، حاولتُ التخفيف من حدة الموقف ، وأخبرتُ أبي أني عرفت هذا الشاب عن طريق الهاتف ولم يحدث بيننا أي اتصال حتى أنه لا يعرف اسمي أو حتى شكلي ، هدأ قليلاً لكنه توعَّد لي بالنار والسواد في الأيام القادمة ، أخذ هاتفي معه لكني تواصلت مع نسيم من عند جارتي الخياطة في الليلة التالية» .

: «و ماذا بعد ذلك»؟

: «تحدثت إليه وكان في حالة غريبة ، يبدو على صوته الحزن ، وعندما سألته أجابني أنه خاف عليَّ ، وقبل أن نتحدث عن أي شيء ، قال لي :

«سأرسل والدتي لخطبتك غداً ، هل توافقين على الزواج بي؟»

طرتُ من السعادة يومها يا فرح ، شعرت أن الدنيا أخيراً ستعوضني عما فعلته بي ، فأجبته مسرعةً : نعم أقبل .

أرسل أمه في اليوم التالي ، وبعدها بأسبوع التقينا بأبيه وإخوته ، وافق أبي على تزويجي منه ، وتمت خطوبتنا» .

: «بالفعل إنها صدفة غريبة يا سلام ، لكن موقف نسيم معكِ يدلُّ على أنه أحبكِ حقاً وكان معكِ رجلاً» .

: «صحيح ، فبعد شهر من الخطبة تزوجنا ، كانت فترة خطوبتنا قصيرة ولم أشعر بها ، لكنه بعيوني دائماً رجل ، ويحمل مسؤولية كل الأمور» .

استرسلت سلام في مديحك والحديث عنك ، ولم تعرف أن بداخلي كل الإنكار وكل الصدمة ، فأنت معها رجلٌ حقيقي عكس ما كنت معي تماماً .

في ذاك اليوم عندما عدتُ للمنزل وقبل أن أنام أمسكت بهاتفي وأردت مسح رقمك من عندي لكني فكرت بتغيير اسمك في الهاتف وتعددت اختياراتي : فرحة وماتت ، ثم فرحة وانتحرت ، ثم وجعي الكبير ، تعددت الأسماء وفي النهاية اخترت : المقيت!

عبّر هذا الاسم عن ما أحسسته اتجاهك ، حفظته في الهاتف وخلدت للنوم .

أنتَ قضيتي التي لا تحل ، معادلتي المعقدة ، رموزي صعبة الفك ، فمعك أشعر بقمة الحب وقمة الكره ، قمة الراحة وقمة الألم ، أضحك من كل قلبي معك ، ولا أبكِ بكاءً أشد من بكائي بسببك ، أنت جروحي وأنت كل الدواء!!!

***

لم تعرف أمي الكثير عن تفاصيل حكايتنا قبل عودتك لي للمرة الأخيرة ، فعندما عدتَ هذه المرة ، عدتَ بإصرار كبير على المواجهة وتحدي الجميع ، قرّرتَ أن تحدّثها وفعلت ، لكنها كانت قاسية معك ، صدتكَ بكل قوة ، دافعتْ عن كل حقوقي التي تريدُ سلبها مني فقط لأنكَ تعتقد بأنكَ الأجدر بي ، وبأن لا أحد غيركَ يحبني مثلك ، فأنانيتك سمحت لكَ بنسيان زوجتك وأولادك وكل جروحك التي وهبتني إياها ، وعدتَ لتفكر فقط بكيفية استرجاعي وامتلاكي مجدداً .

بعد معرفتها عن علاقتي بك ، صدمت أمي بي ، ولم تتخيل أن فرح جميلتها الصغيرة عاشت كل هذا الألم وهي لا تعرف ، خصوصاً أنها ظنّت أني أنهيت علاقتي بك منذ طلبتني للزواج وردّت عليكَ بأني صغيرة ، وَقَفَت بجانبي وحاولت مساندتي حتى أنسى ، نعم قست عليّ بالبداية لكنها احتوتني كثيراً وحاولت مسح كل ألمي كما كانت دائماً تفعل .

قرأتُ مرة على فيس بوك : « الأم تلعب دور المرشد الناصح في حياة ابنتها ، فعليها مرةً أن تفتح لها باب الحوار والصراحة ومرة أن تغلقه ، حتى تستطيع احتواء ابنتها في كل الظروف ، وتكون بجانبها حتى تصل إلى بر الأمان ، فالهدف من علاقة الأم بابنتها ، جذبها لما هو أفضل ورفعها لأعلى الدرجات ، وليس العقاب! فالحياة عبارة عن تجارب يجب علينا خوضها حتى نحصّل الخبرة ، فشخصية الفتيات معتمدة على البيئة التي تعيش فيها كلٌ منهن ، وأكبر نعمة في حياة الفتاة والديها ، ومن ثم باقي الأسرة ، لا شيء في العالم يعادل هذه النعمة ، ولا يمكن لفتاة تجد كل الحب والدفء والاستقرار في بيتها أن تتجه لما هو في الخارج ، فلولا الفراغ لم تحتج أي فتاة في الكون للهرب من الصعب إلى الأصعب!»

هذا كان جزءاً من ما كَتَبَته إحداهن على فيس بوك ، لكني لم أكمل قراءتي بعد أن قطَعتُها بالتعليق بيني وبين نفسي :

«لكل قاعدة شواذ _مثلي تماماً _فأنا وجدتُ الحب والدفء لكنَّ الفراغ لم يفارقني أبدا ، لذلك ملأتُ أوقاتي بك ، وليتني لم أفعل!»

***

في مرة كنا قد تشاجرنا كعادتنا ، وأعدتَ لي المفتاح الذي أعطيتك إياه في المدرسة ، كنتَ دائماً تضعه مع مفاتيح سيارتك التي لا تستغني عن استخدامها أبداً فكان يرافقك في كل وقت ، وفي كل مكالمة كنت تحاول إغاظتي بصوت المفاتيح ، حيث أنك كنت تحب مفتاحي أكثر من أي مفتاح آخر ، لم أتخيل أنك ستعيده لي في لحظة من اللحظات خصوصاً أنَّه أول شيء أعطيته لك ، لكنك أعدته . . . وبعد أن سوَّينا الخلاف بيننا ، طلبت استرجاع المفتاح لكني أقنعتك أني أضفته إلى صندوقي الأحمر ولن يضيع هناك ، وسيكون فيه فقط لفترة مؤقتة إلى أن نجتمع معاً في بيتٍ واحد .

الآن وبعد أن عرفتُ عن زواجك من سلام ، باتت أحلامي بالزواج منك مستحيلة ، أشعر الآن أني أسقط من على سطح عالٍ جداً لكني لا أعرف على ما سأسقط؟ ولا حتى كيفية السقوط ، شعوري فقط ، توتر ، ألم ، خوف ، صدمة ، استغراب ، تكذيب . . .تَخَيَل؟ كل هذا فقط لا أكثر . . .!!

***

كلما كانت سلام تضيف حرفاً لما قالته كنت أشعر بخيبتي بك أكثر ، وكان شكّي بأني أحلم يكبر أكثر وأكثر ، لكنّي الآن بتُّ متأكدة من

خداعك ، وعليَّ اتّخاذ القرار ، إما أن أصارحك وأسمع منك ، وإما أن أنتظر لأراكَ ما ستفعل؟

رغم الألم والاندفاع اخترت الصمت ، كان عليّ أن أصدم بك حتى آخر حد يمكن لي أن أكرهك عنده ، ورغم اقتناعي بأني لن أكرهك يوماً ، إلا إني اخترت أن أراك تكذب ، وتلعب بي حتى لا أسمح لنفسي بتصديق أكاذيبك مجدداً ، وبالتالي أعود لك ، وأقع في شباكك من جديد! تماماً كما كنت أفعل دائماً .

لم أستطع إعطاءك العذر على ما فعلته بي ، ولم أرك ذاك الشاب المضحّي ، الرجل بمعنى الكلمة ، ذاك الذي قام بحماية سلام من والدها ، وتدميري بكل الطرق!

كان بإمكانك إخباري ، لماذا لم تفعل؟ لماذا اخترت الصمت؟ لماذا تلاعبت بمشاعري كل هذا الوقت؟ أتعلم؟ ليس غريباً أي سؤالٍ من أسئلتي هذه ، قَدرَ غَرابة غياب شعوري بك ، كيف لم أشعر؟! تغيُّرك ، ابتعادك المفاجئ ، انشغالك الدائم عني ، بالفعل كيف لم ألاحظ؟! كيف استطعتَ خداع سلام؟ كيف لم تشعر بك هي أيضاً؟ أنحن من كنا بلا شعور؟ أم أنك أنت تحترف الكذب؟ كيف كنت تحدثني كل ليلة؟ أين كانت هي؟ وكيف كنتَ تعيش حياةً كاملة معها وأنا لم أشعر؟ أين كنت؟!

أوووووه . . . . يكفي أسئلة ، أعلم جيداً أن طعم الخيانة مر ، وأنّك أمهر من خان بحياته ، حتّى عوّدتني خيانتك ، لكنني هذه المرة لا أشعر بأنك خنتني ، أشعر فقط أني أنا من خنتُ نفسي ، أنا التي وهبتك هذه الفرصة ، أنا التي كنت أتسامح معك كثيراً ، أنا ساعدتك في أن تدوس على ما تبقّى من أحاسيس داخلي ، بالفعل أنا من أعطيتك هذه الفرصة ،

لكني لم أكن أعرفك ، وأعتقد أني لازلت إلى الآن لا أعرف عنك سوى القليل ، ويمكن أن يكونَ حتى هذا القليل خاطئاً أيضاً!

لم أخبر سلام عن معرفتي بك ، لكنّي بقيت متيقظة لك ، أدرس تحركاتك بالخطوة ، لا أنكر أني في بعض اللحظات كنتُ أنسى أنك تزوجت وأتعامل معك بشكل عادي ، لا لأني نسيت الموضوع بل لأنك تتقن الكذب لحدٍ جنوني جعلني أصدق كذبك المبنيّ على كذب!!!

مرّ على هذا الوضع تقريباً شهر ، لم أستطع الاحتمال أكثر فلا أنت اعترفت لي بشيء ، ولا أنا استطعت الأخذ بثأري منك ، ولا شعرتُ لسلام أيّ ذنبٍ كونها وقعت في حبك عن طريق الصدفة!

عندما أخبرت وفاء عمّا حصل ، لم تنطق بأي حرف ، اختارت الصمت في البداية ثم قالت : «فرح ، لا أستطيع تصديق ما يجري»

: «و لا حتى أنا يا وفاء»

: «لكن كيف حدث هذا؟ كيف عرفتِ ، كيف لم تشعري بهذا»؟

: «صدّقيني يا وفاء لا أعلم كيف لم أشعر؟ لكنّ نسيم الآن متزوج ، ومنذ أكثر من ثلاثة شهور» .

: «هذا مستحيل ، كيف عرفتِ؟ ومن تزوج»؟

: «إنه زوج سلام يا وفاء» .

أقفلت وفاء الخط ، وبعد قليل من الوقت كانت عندي في البيت .

: «لم أستطع التحمّل ، هل أنت بخير يا فرح؟ أنا إلى الآن لا أفهم»!!

: «أنا بخير يا وفاء لا تقلقي» .

لم أكن بخيرٍ كما قلت ، لكنّي بالفعل لم أكن أشعر بأي شيء ،

حتى وفاء ذُهلت من شكلي ، فالصدمة واضحة في ملامحي أشد وضوح .

: «لم أحبه يوماً يا فرح ، انظري ما حلَّ بكِ بسببه ، لا تستحقين هذا» !!!

: «بل أستحقه يا وفاء ، لا تحاولي مواساتي أنا من ركضت نحو هذه النهاية بقدمي» .

بالفعل كنتُ مقتنعة بأنيَ السبب ، فأنا من عَوَّدْتُك على الرحيل والعودة متى تشاء ، دون أي رفض أو حتى كلمة عتاب ، خوفي الدائم من فقدانك هو ما كان يجعلني أصمت ، لكنّي اليومَ واليوم فقط أدركتُ أنَّ الخوفَ من الفقد أقسى بكثيرٍ من الفقد نفسه ، فهو الذي جعلني أعيش الألم نفسه أكثر من مرة . . .!

التقيت بك لأول مرة بعد أسبوعين من معرفتي عن زواجك ، تهرّبتُ كثيراً منك ومن لقائك ، لأني لا أعرف ما سأقول وما سأشعر ، وهل سأضعف أمامك أم لا ، لكنَّك صمَّمت فكان اللقاء . . .

كنتُ متوترة جداً يومها ، خائفة والقلق واضحٌ علي ، سلّمنا ، جلسنا وبدأتَ تدخّن . . .

سرحتُ بنظري فيك ، تذكّرتُ كل وعودك ، حتى حروفنا كانت لا تزال محفورة في ذاك الجذع ، وفي تلك الحديقة ، هي لم تتغير ، لم يتبدل فيها شيء لكنّي أشعر أنها غريبة عني ، أو حتى أنا الغريبة عنها ، ترفضني وأنا أيضاً أرفضها!

زاد الضغط علي أكثر عندما أعدتني من شرودي قائلاً :

«ما بال حبيبتي اليوم؟ أراك لستِ على بعضك ، هل سرق أحدهم الابتسامة من وجه فيلتي الصغيرة»؟

في العادة نضحك عندما نستخدم هذا اللقلب ، ضحكتَ أنت ، أما أنا فلم أستطع الإمساك بدموعي ، وبكيتُ كثيراً ، لكنّك وبكلٍّ براءة مغشوشة صدمتَ بهذه الدموع

: «لماذا تبكين الآن؟ هل أنت مريضة؟ أخبريني ما بك»؟

لم أجبكَ لأني كنت غارقة في دموعي وفي ألمي وخيبتي ، كانت مشاعري مبعثرة ، متخبّطة ولا تقوى إلا على البكاء!

حاولتُ التماسك ، توقفت عن البكاء ، وأخبرتك أني قد تشاجرت مع وفاء ، وهذه أول مرة فنحن بالعادة لا نتشاجر ، ولا أطيق الابتعاد عنها!

: «أها ، إذن وفاء هي الموضوع ، إن كان الأمر كذلك فلا بأس ، ظننت أنَّ الموضوع أكبر!!!»

وابتعدتَ عني وأسندتَ رأسك وكتفيكَ إلى شجرة

بذهول كبير سألتكَ : «كيف لا بأس؟ تعلمُ أني أحب وفاء ، وهي أساسية في تفاصيل حياتي»

: «فروحتي ، تعلمين أني لا أحبها ، وها قد أتتنا على بساط الريح هذه الفرصة حتى نتخلص من ثقل دمها ، ومحاولاتها المتكررة لإبعادك عني ، فقد كنت أنوي إبعادك عنها حينما نتزوج ، وها قد أتت الفرصة» .

: «كنتَ؟ وماذا الآن»؟

: «أقول لكِ ها قد أتت الفرصة فلماذا أتعبُ نفسي بالمحاولة من جديد؟ عندما نتزوج لا أريد لأيٍّ أحدٍ أن يعكّر صفو حياتنا ، ووفاء هذه تريد تدمير كل ما نبنيه بسهولة تامة» .

ألم أقل إنك جبارٌ قوي؟ من أين أتيت بكل هذه الجرأة والوقاحة حتى

تخبرني بأنك ستتزوجني وأنت الآن متزوج؟! والأفظع من كلّ هذا أنّك تستطيع تمثيل الصدق في عينيك، لم أعرف قبلك أن الصدق . . . حتى الصدق يمكن تمثيله، وأنّ نظرات العيون يمكن أن تخدعنا وبكل بساطة! خصوصاً إن كانت من محترف أكاذيب وخيانة مثلك . . .!

وقتها كنتُ بحاجة جداً لوجود وفاء بجانبي، أنا لم أختلف معها كما أخبرتك، لكنّي كنت مضطرة للكذب، حتى أتجنب الحديث معك حولَ زواجك وألمي، وفراقنا الذي بات شبه أكيد بالنسبة لي منذ هذه اللحظة .

يدور ببالي الكثير الآن، لكنّ جلّ تفكيري في ما سيكون بعد الفراق، هل حقاً سننتهي؟ بالفعل لن أراك مجدداً؟ وستخرج من كل تفاصيلي؟ وستصبح بعيداً، أبعد من أي شيء؟ هل سأنتظر الصدفة حتى تجمعني بك مع مرور الأيام؟ هذا إن جمعتني بك! ألن أسمع صوتك أبداً؟ ألن أعرف أي خبر عنك؟ ألن أسمع آخر نكاتك؟ سنمر بجانب بعضنا كالغرباء؟ ألن تكون في قصصي التي سأخبرها لأحفادي؟ هل فعلاً سأنتظرك بلا جدوى؟ وسأتذكرك كأنك لم تكن؟

لماذا تفعل بي كل هذا يا نسيم؟ أنهكتني كثيراً، أتعبتني حتى آخر نفسٍ بي!

لطالما كنتَ مقتنعا بأني لا أستطيع نسيانك، حتى وإن حاولت!

: «لن تنسيني أبداً يا فرح، لقد غرزتُ خنجر حبي في صدرك، إن ابتعدتِ عني خرج الخنجر وقطّع أوصالكِ ومتّ . . .!»

: «وإن بقيتُ؟ ماذا سيحدث؟ سأموتُ نزفاً، وجعاً، هل سأموت بسُمّكَ؟»

: «يا ويلي منكِ كم أنتِ مأساوية، موتي ما المشكلة؟ وبالمناسبة إن

متٌ سلّمي لي على سهى حبيبتي الأولى ، ماتت قبل أن نتهنّى ببعض ، آخ منك يا سهى ، لا أدري ما الحكمة من تسميتك فرح؟ وأنت أساس النكد في العالم ، قرّرتُ أن أسميكِ نكد . . .»

كالعادة انتهى الموقف بلحاقي بك وهروبك مني مسرعاً .

اشتقتُ لك يا نسيم ، اشتقت لذلك الشخص الذي عرفته وقتها ، لا الذي أراه وأتعامل معه الآن ، فأنت الآن مختلفٌ تماماً ، لا تشبه نسيم الذي عرفته إلا بالشّكل والصوت ، أما المضمون فقد ضاع وأضاعني معه!!!

***

أذكر مرّة قلت لي فيها : «في داخل كلٍ منا طفلٌ صغير ، عندما تغلقين الباب على الرجل ويبقى وحده ، يبقى مع طفولته ، مع ذلك الطفل الذي لا يغادر أعماقه ، البعض يخشى إخراج هذا الطفل أمام الآخرين ، لكنّي أمامك لستُ إلا طفلاً ، ليتني كنتُ طفلك فعلاً » وضحكت!

كنت أحب هذه الطفولة جداً ، أشعرك أنقى وأقرب لي من أي وقت آخر عندما تتوسم ملامحك البراءة والطفولة ، أشعر أني أسرتك كلياً ، وأشعر أنك لي . . . لي وحدي فقط ، ولطالما أحببت هذا الشعور وتمنيته .

***

عند باب الحديقة في العادة تكون امرأة جالسة ، هي كبيرةٌ في العمر وترتدي باستمرار اللون الأسود ، كلما نمر من عندها تطلب نقوداً ، وأذكر أول مرة رأتنا فيها كنا نضحك بشكل جنوني ، توقفنا عندما نادتنا ، وعدنا خطوة للخلف ، فقالت :

«ربي يخلي لك هالصبية الحلوة ، أعطني حتى يعطيك الله»
أعطَيتَها ، فردَّت :

«الله يخليكم لبعض ، حلوين جداً ، الله يجمعك فيها يا بنيي» .

لا أعرف ما كان وقع كلماتها على قلبك ، إلا أنك سررت بها وأعطيتها المزيد ، أضاف كلامها فرحاً على فرحنا يومها ولا أدري ما السبب .

وبعدها اعتدنا على رؤيتها كلما ذهبنا للحديقة ، فقد أصبحَت تسلّم علينا وتعرفنا ، نعطيها من ما معنا أو حتى نجلب لها طعاماً مثلنا ونذهب ، حتى باتت تحفظ أشكالنا وأسماءنا .

لا زلتُ أراها لكني الآن أصادفها وحدي ، وفي أول مرة رأتني وحيدة سألتني : «أين هو»؟

أجبتها : «افترقنا يا خالة» .

: «أعرف هذا لكنّي توقّعت أنكما رجعتما لبعض ، فالظاهر على حبكما أنه قوي ولم أتوقّع أنكما ستبتعدان» .

استغربت معرفتها بفراقنا! لكنّي خمّنت أنها توقّعت هذا من وحدتي ، وسألتها :

«من أين عرفتِ أننا افترقنا» ؟

: «هو أخبرني اليوم صباحاً ، عندما مرّ وسألته عنكِ فأجاب نفس إجابتك (افترقنا يا خالة)! لا تَدَعوا هذا الخلاف يدمّر حبكم ، عودي له يا بنتي فالحياة قصيرة ، ونادراً ما تجدين فيها مثل هذا الحب» .

بالنسبة لها أنت أكثر من رائع وعلاقتنا أكثر من قوية ، لكنّها لم تكن

تعرف كل تفاصيلنا الموجعة لذلك لم تتوقع أن هناك ما يدعو فعلاً للفراق!

***

بعد صدمتي بزواجك، مرّت ثلاثة أيام لم أتحدث إليك فيها، قلقتَ علي، وحاولت الاتصال بي مراراً لكنّي لم أكن أجيب، فلم أعرف ما يتوجب علي فعله أو حتى قوله، فكرت فيك، بسلام، بنفسي، بكل ما حدث، شعرت أني متعبة جداً وغير قادرة حتى على التفكير، وقررت أن أصمت، وأن أدع الأحداث تمضي دون تدخلي، حتى أرى الصورة مكتملة، قررت أن أعرف باقي التفاصيل من سلام، وحاولت منحك فرصة أخرى لتعدّل ما دمرت، وفعلاً هذا ما فَعَلته، أعدتُ تشغيل هاتفي، وانتظرتك حتى تتصل.

عندما رأيتُ ((المقيت يتصل بك)) على شاشة الهاتف، ذعرت، وشعرت أني لأول مرة سأكلمك وأجبت: «ألو»

: «أخيراً، ما بالك لماذا أنتِ مختفية هكذا»؟

لا أنكر أبداً أني شعرتك شخصاً غريباً، حتى صوتك بدا لي وقتها غريباً، كم وددت لو أني كنت أحلم، وأستطيع أن أحكي لك كم اشقتك، وكم مرّت علي هذه الأيام طويلة، لكنَي لم أستطع، فجرحك كان مؤلماً وعميقاً جداً هذه المرة.

: «لا شيء، كنتُ متعبة، ولا زلت إلى الآن».

: «حبيبتي أنا أعرفكِ، لا تختفين هكذا إلا إذا كانت هناك مصيبة، فهيّا اعترفي»

: «قلتُ لك، لا شيء سوى أني كنتُ متعبة والآن أنا أفضل»

: «ما بكِ يا فرح؟ لا أستطيع تصديقك»!!

: «إذاً هذه مشكلتك»

: «كما تودّين ، فقط كنتُ قلقاً عليكِ ، الحمد لله أنكِ بخير»

أضحكتني . . .!

بخير؟! لماذا؟ هل تركتَ لي مجالاً لأكون بخير؟ ليتني كنتُ بخير فعلاً ، لو لم أعرفك أبداً وقتها كنتُ سأكون بخير ، هذا ما وددتُ قوله وقتها لكنّي آثرتُ الصمت!

أصبحتْ مكالماتنا أقل من المعتاد ، أتهرّبُ من الحديث معك باستمرار ، لدرجة أنك شعرتَ بهذا ، وبدأتَ تسأل ، لكنَّ ألمي وقتها وإصرارك الكبير على الكذب لم يسمحا لي بالضعف ولا حتى بكلمة .

كنتُ كلما التقيتُ سلام تزداد خيبتي بكَ أكثر ، سلام ليست سعيدة معك ، فهي تشعر أنك لستَ معها ، وتشعر بالإحباط المبكر .

سلام : «أشعر في بعض الأوقات فقط أنه قريبٌ مني يا فرح ، لكنّي لا أشعر بحبِّه أبداً» .

: «أليس الوقت باكراً على أن تطلقي عليه مثل هذه الأحكام يا سلام»؟

: «لا أعتقد هذا ، فأنا أعطيه الكثير وهو لا يشكر ، لا أشعر أن هناك مقابلاً لما أعطيه له ، أشعر أنه غريبٌ عني وليس زوجي»!!

: «لكنَّ الحب لا يتطلب مقابلاً»!!

: «هذا الحب ، وليس الزواج يا فرح ، يخبرني كثيراً أنه يحبني ، لكني لم أشعر بهذا ، لم أره في عينيه أبداً» .

: «ألا تعرفين ما السبب»؟

: «بلى ، أعرف ولكنّي لا أستطيع القول»

: «تحدّثي يا سلام ، صدّقيني أنا أسمعكِ ، وهذا الحديث سيخفف عنكِ الكثير» .

: «أتعلمين؟ لم نكمل حتى الآن ثلاثة شهور معاً ، إلا أنه بدأ يخونني ولا أدري ما عليَّ أن أفعل؟ أقول أنه سيتغير ، سيعود لي يوماً ، لكنه لا يتغير إلا للأسوء ، ولا أشعر وهو معي أننا وحدنا ، بل أشعر بالكثيرات بيننا ، أشعر بهنّ يخنقنني ، يسحقن إحساسي بكل قوة» .

: «كيف عرفتِ أنه يخونك»؟

: «أوووووه يا فرح ، الكثير من الطرق ، فهو ليس مبالياً بتخبئة خياناته ، يخون على العلن ، ولا يهتم لشيء» .

: «هل حاولتِ مصارحته؟ أو حل هذه المشكلة»؟

: «نعم حاولتُ ، لكنه ينهي النقاش بمشكلة ، ويحاول إقناعي بأني أتوهَّم كل خياناته»!!

لم أستطع وقتها إخفاء ملامح صدمتي بك على سلام ، ها أنا أكتشف الآن أني لست ضحية أكاذيبك وخياناتك الوحيدة ، الظاهر أني اسم من قائمة طويلة تعجُّ بالمختلاتِ عقلياً ، متوهمات الخيانة!

: «أتعلمين يا فرح ، هو بعيدٌ جداً عني ، لا يعرف عني إلا القليل ، أتصدقين أنه لم يسألني مرة عن صديقاتي؟عن أسراري؟ عن رغباتي؟ لا يعرف عني أي شيء سوى الذي يهمه!

لا أدري لماذا أبوح لكِ بكل هذا ، ولا تعلمين قدر إيلامه لي ، لكن لا

أحد لدي غيرك لأبوح ، فاعذريني . . .»

***

قبل أن أواجهكَ بزواجك ، في مرة كنا نتحدث هاتفياً وقبل إنهاء المكالمة متعبة الأعصاب _كسائر مكالماتنا وقتها _ناديتَني باسم سلام ، لطالما ناديتني بأسماء عشيقاتك الكثر ، لكنك هذه المرة ولأول مرة تناديني باسم المرأة الوحيدة التي لا يجب أن تخطأ باسمها ، مسرعاً ومندهشاً ومتلعثماً ناديتَ الكثير من الأسماء

: «يا سحر ، يا سوسن ،يا حنان ، . . .»

وكأنّك كنتَ تمزح ، لا كأنها كانت زلّة ، بالطبع لم أهتم لما قلته لأني بتُّ الآن أعرف حقيقتك ، وحلولك المباشرة بمحاولة إيهامي بالتهيؤ ، وبالفعل بدأت توهمني بالتخيل وبأنك صادق وكنتَ تمزح!

سايرتك وقتها لأني لم أرد أن أعلَقَ معك بنقاشٍ تنعتني بنهايته بالمتخيلة وتتوّجني مجنونةً رسمياً ، لذلك سكتُّ ولم أجادل!

أين ذهب صدقك؟ أين ذهبت طفولتكَ وبراءتك تلك؟ لماذا اخترت هذه الصورة المشوّهة؟ لماذا اخترت إحراق قلبي بكل الطرق؟! لطالما حاولتُ أن أبحث في ملامحك عن شيءٍ يجعلني أكرهك ، لكنّي لم أجد ، والظاهر أني لن أجد . . .!

في بداية علاقتنا ، كنتَ حنوناً لطيفاً معي ، امتلكتَ كل الموهبة والقدرة على إيقاعي في غرامك ، حتى القمر كان شاهداً على ذلك ، في ليلة طلبتَ مني طلباً غريباً : «حبيبتي اذهبي إلى النافذة»

دون سؤال اتجهتُ إلى النافذة . . .

: «أترين القمر»؟

: «نعم أراه ، إنه بدرٌ اليوم ، هل تراهُ أنتَ» ؟

: «أها ، أراه . . .خذي نفساً عميقاً وأخرجيه»

ضحكتُ من طلبك : «لماذا»؟

: «فقط افعلي ما طلبته وستعرفين»

أخذتُ نفساً عميقاً كما طلبت ، وعلى الفور قمتَ بسحب نفسٍ أطول وقلت : «شعرتُ أنّكِ بعيدةٌ عني ، آلمني قلبي وفكّرت بأن أشعر بقربكِ بأي وسيلة ، فلم أجد أجمل من سرقة أنفاسك وحبسها في داخلي طويلاً»

وأخذنا نضحك . . .

لا زلتُ إلى الآن مستغربةً من بقائي على قيد العقل ، فعندما أتذكّر كل تفاصيلنا أشعر أني في دوّامة ، وكأني لم أتعاملْ مع شخص واحدٍ فقط ، بل تعاملت مع الكثير في آنٍ واحد ، لدرجة أني استيقظت ذاتَ ليلة ووجدتُ دموعي على خدي ، وكأني نمتُ وتركت عقلي يعمل وقلبي يحزن ، فكانت النتيجة دموعاً أثناء النوم ، كم هو صعبٌ هذا الشعور ، قاسٍ وأكاد لا أفهمه ولا حتى أتحمله !!

لم أعد قادرة على تحمّل كذبك أكثر ، ولا حتى تداعيك بأنك معي وأنت لست معي ، شعرتُ في ذاك الوقت أني أخون سلام ، وأتركها مغشوشة بك ، لكن لم يكن بيدي حيلة إلا أن أواجهك ، فلم أعد قادرة على الصبر أكثر .

عندما تحدّثت معي ليلتها كنتُ باقيةً على قراري بالمواجهة لكنني لم

أخطط لأي طريقة أواجهك بها ، عندما اقتربنا من نهاية المكالمة قلت لك :
«سلم لي على سلام» .

: «نعم ، ماذا قلتِ؟ أسلم لك على سلام؟ من سلام؟»

: «من قال سلام؟ ما بالك ؟!»

: «أنتِ قلتِ سلام»

: «لا لم أقل ، يبدو أنك تتخيل ، أو أنك تخونني مع واحدة جديدة ، تدعى سلام ، وتفكّر بها إلى الآن» .

: «لا حبيبتي فال الله ولا فالك ، يبدو فعلاً أني أتخيل!!!»

أقفلنا الخط ولم نتحدث حتى اليوم التالي ، أصابتني رجفة في يدي ، لم أشعر إلا برغبة بالبكاء ، انكمشت على نفسي كأني طفلة صغيرة في رحم أمها ، حضنتُ نفسي وبدأت أبكي . . .

لأول مرة تشعرُ بما أشعر ، لأول مرة أضعكَ في نفس موقفي ، ولأول مرة أرى صورتي في عيونك عندما كنت تتهمني بالجنون ، صورة مقرفة ووضيعة ، لا أتحمّل هذا الشعور أبداً ، فالإحساس بالإهانة صعب ، صعبٌ جداً ، نمتُ ليلتها دون أن أبدّل ثيابي ، أو حتى أن أمسح ماكياجي ، نمتُ كقتيلة تسبح في بحر من دموع . . .

((تغفو ذكرياتنا في دُرجٍ عميق ، لكنها لا تموت))

أذكر جيداً عندما كتبتُها على حائط في حديقة المنزل باستخدام ورقة نبات مداد تكون مليئة بالمياه ، لم ألبث أن أنهي كتابتها حتى هطل المطر ، وهطلت معه دموعي ، تذكّرت وجعي معك فأنتَ جرحي الذي لا يُنسى ، تذكرتُ نهاية مكالماتنا ، ففي كل مرة ننهي فيها المكالمة نحتاج لوقت

إضافي بنفس طول المكالمة حتى ننهي الحديث

فرح : «طيب سلام»

نسيم : «هلا»

فرح : «أهلين»

نسيم : «يا هلا»

: «تفضلوا علينا»

: «لا والله مشغولين اليوم»

: «عراحتك ، مع السلامة»

: «الله معك»

: «سلام»

: «سلام»

: «هلا»

: «أهلين»

: «هلا والله»

: «هلا ، هلا ، هلا»

وهكذا حتى يكاد الهاتف ينطق وينهي هو المكالمة ، مع ذلك كنا نضحك كثيراً من كل قلب .

مع هطول قطرة المطر تلك على وجهي ، عدتُ للواقع الأليم ، ووجدتُ عبارتي قد مسحها المطر ، لكنه لم يمسح ألمي أبداً ، ولا أعتقد أنه سيمسحه يوماً ، فقد تآكلتُ بسببه حتى آخر إحساس . . .!

جوّ المطر يذكرني دائماً بك ، يعيدني لك ويجعلني محاصرة بك من كل الاتجاهات ، غير قادرة على أي فعل ، مشلولة عن كل ما يحيط بي إلا عن دموعي التي تنساب على خدي رغماً عني!

***

لكن ماذا الآن؟ ها أنا أنتظر اتصالك بفارغ الصبر ، وأنت لا تزال تتأخر به ، أخشى أن أتصل بك فتكونَ بجانب زوجتك التي لا أدري من أين وكيف أتت! زوجتك التي سرقت مكاني واحتلّته عوضاً عني ، في الحقيقة هي لم تسرقه ، بل أنت الذي سرقته ووهبته لها ، لستُ حزينةً لأنك فعلت فأنا لم أخسر شيئاً كبيراً ، فإلى الآن أعلم أني قابعةٌ بينكما ، أعلم أني دائماً كالحاجز في الوسط ، وأعلمُ أن لا ذنب لها بي ولا بحبنا المتعثّر ، لكنّ القدر اختارها لتكون ضحية هذا الحب ، لم أكن يوماً أحب الانتقام ولا الحقد ، لكنّي تعلمته بفضلك والآن أشعره معك ولم ولن أسمح لنفسي أن أشعره مجدداً مع غيرك ، فلقد علّمتني درساً صعباً في الانتقاء . . .!

***

بعد أن زرعتُ الشك في ذهنك حول اسم سلام ، بدأتُ ألاحظُ تغيركَ وانتباهكَ لكل تفاصيلي وتحرّكاتي ، حتى صديقاتي بدأتَ تسأل عنهن ، الأسماء والأحوال . . . بدأتَ تكتشف نفسك بنفسك .

في هذه الفترة توقّفت عن زيارة بيت سلام وتعذّرتُ بالدراسة ، كنتُ أخشى لقائي بك ، لم أتخيل أبداً كيف ستكون المواجهة ، وكيف سيكون وقعها على قلبي الضعيف ، وقلب سلام الذي لم يعرف عن حبنا شيئاً ، وعلى قلبك الذي ترك قلب كل واحدة فينا معلقاً بما يسمى أحلام ، أو بما

لا يصل لمستوى الأحلام ، كنتُ أعلمُ أنك لن تسأل سلام عن صديقاتها أو عن أحوالها كما أخبَرَتنِي عنك لذلك لم أخشى أن تكتشف الموضوع من خلالها ، ومن أجل كل هذا ابتعدتُ ، لكنَّ سلام لم تسمح لي بأن أتمسَّك بموقفي هذا ، فقد قرَّرت تعريفي بزوجها ، ذاك القريب الغريب ، ذاك النسيم الذي يشبه كل شيءٍ إلا النسيم . . .!

سلام : «دون اعتراض أنتِ معزومة على الغداء معي غداً ، لا تحاولي الاعتذار» .

فرح : «ولما أعترض؟ ولكن لما هذه الدعوة المفاجئة؟»

سلام : «تلقّى نسيم ثلاث بطاقات دعوة لتناول الغداء ؛ صديقه يفتتح مطعماً جديداً ، ولم يخطر ببالي أحدٌ غيرك لتكون هذه فرصة لتتعرفي إليه» .

ضحكتُ وأجبت : «هل سيكونُ موجوداً أيضاً»؟

: «بالتأكيد سيكون ، ماذا قلتِ»؟

: «ولكن هل يعرف من أنا»؟

: «ما بالك يا فرح لقد أخبرتك مسبقاً هو لا يعرف عني أي شيء لكنه فقط يحاول تمثيل دور الزوج الجيد بشتى الوسائل وأنا أودُّ أن أستغل الفرصة لنقضي وقتاً ممتعا ، ها ما قولك»؟

: «ما عساي أن أقول ، لا أستطيع أن أرفض لكِ طلباً ، غداً . . .غداً» .

لطالما خفتُ من هذا اللقاء ، ولطالما فكَّرتُ فيه ، بحثتُ كثيراً عن طريقة لأواجهك بها ، وها قد أتتني الفرصة على طبق من ألم وخوفٍ

وشعورٍ بالخيانة لسلام ، لكنّها أتت وعليَّ الآن أن أستغلها كما علّمتني يا أستاذيَ الأمهر .

أنت من زرع بي عادة الثأر ورد الاعتبار ، أنت من علّمني هذه اللعبة ، وكم أود حقاً تجربتها معك أولاً وأخيراً . . .

***

أتذكّر مرةً سألتني إن كنتُ قد قدتُ سيارة؟ وأجبتك أني لم أفعل ، فطلبتَ أن أجلس في سيارتك مكان السائق .

: «فرح ، سنبدّل الأماكن ، أريد اختبارك يا فتاة ، لا ينقصني وجع رأس من وراكِ ، وإن لم أعطيكِ أنا الرخصة لن أسمح لكِ بالقيادة» .

كنتُ أعرف إمكانياتي الضعيفة وقتها ، فعلّقتُ : «متأكد؟ لستُ مسؤولة عن أي أضرار» .

: «هيا ، لا تتهربي ، أنا أتحمّل المسؤولية كلها» .

: «امسك شاربك»

: «أمسكت ، هيا»

: «أمري لله»

فعلتُ كل العجائب وأنا أقود ، تفقّدتُ شكلي كثيراً في المرآة ونسيتُ أمر القيادة ، راقبتُ البشر ، راقبتُ خوفك على السيارة وعلى حياتك وتركتُ القيادة للمقود وحيداً ، ضحكتُ وخفتُ ، فعلتُ كل شيء إلا القيادة!

: «فرح ، توقفي أرجوكِ ، يـــا علة قلبي» .

مع ضحكة ساخرة أجبتك : «ما بك؟ ألا تعجبكَ القيادة؟»

: «بلى ، تعجبني كثيراً ، لدرجة أني أفكّر أن أعيِّنكِ السائق الشخصي عندي ، صبّرني يا الله»

: «أصلاً أنتَ تغار منّي لأني أعرف في القيادة أكثر منك» .

ضحكتَ وأجبت : «طبعاً طبعاً ، لا أقول إلا : الله يلطف بالبشرية من بعد أن تفكري بالقيادة ، لطفك يا رب» .

ولأني أعرف إمكانياتي الضعيفة نزلتُ من السيارة وأنا أنفش ريشي وأضحك . . .

حتّى درسي الأول في تَعلُّم القيادة كان معك ، تحتل المرتبة الأولى في كل ذكرياتي ، الأولى والثانية والثالثة حتى الأخيرة . . .

والآن حتى بعد أن تعلّمتُ القيادة وأصبحت لدي سيارتي ، إلا أني كلما وددتُ تشغيلها أتذكرك ، وأتذكّر تعليماتك المضحكة ، المليئة بالحب والدعابة .

***

وأتى الغد ، ارتديتُ ملابس بسيطة ، واتجهت إلى المطعم ، حين أرسلتَ لي : (حبيبتي لدي الآن اجتماع ، سأغلق هاتفي ، أحبكِ جداً) .

قرأتُ الرسالة وضحكتُ قهراً ، كم أنتَ صادق حد الكذب ، بالفعل هو اجتماع لكنّه من نوعٍ آخر وبنكهةٍ مختلفة .

وصلتُ إلى المطعم ، ركنتُ سيارتي بجانب سيارتك ، تفقدتُ شكلي ، أخذتُ نفساً عميقاً ، ونزلت . . .دخلتُ إلى المطعم وكلّ جزءٍ مني بات يرتجف ، شعرتُ أن أقدامي تكادُ لا تحملني ، وكأن الريح إن هبت

سأسقط ، بدأت أبحث بنظري عن سلام أو حتى عنك ، حتى رأيتكَ من بعيد . . .

صُدمتَ بي ، وربما أخذت مسرعاً تفكّر فيما ستخبرني عن اجتماعك ، رأيتَني أقترب ، وباقترابي ازداد ارتباكك واتساع عينيك ، اقتربتُ أكثر وسلّمتُ على سلام ، وأخذتَ تراوحُ النظر بيني وبينها بسرعة وكأنك تحاول تصديق ما تراه ، وتتمنى لو أنه حلم وتلوم نفسكَ على غبائك!

سلام : «هذه صديقتي فرح يا نسيم» .

فرح : «مرحباً»

نسيم بارتباك : «أهلاً»

جلسنا مقابل بعضنا ، وجَلَسَتْ سلام بجانبك كأيّ زوجين ، أما أنا فحاولت تجنّب النظر إليك حتى لا تشعر بنا سلام ، تعاملتُ معكما بمنتهى الهدوء وعاملتَني أنت بمنتهى الصدمة والتوتر والارتباك .

طلبنا الأكل وهذه المرة على غير العادة لم نتشارك الوجبات ، ولم نطلب الكثير من أصناف الأكل ، ولم نتشاور بيننا على أي شيء ، فأنت صاحب الدعوة وسلام التي قررت نيابةً عنك ، أما عن تركيزك فكانَ كلّه منصباً علي ، مع نظرة ذهولٍ كبيرة ومحاولاتٍ عديدة للتساؤل بالعيون!

فرح : «زوجك مختلفٌ قليلاً عن الصور»

سلام : «حقاً؟ لكنّي أحبهُ كيف ما كان» .

وَضَعَت سلام يدها في يدك ، ولأول مرة ألمح خاتم زواج في اصبعك!

أنتما الآن تلبسان خواتم تربطكما ببعض ، أما أنا فكلّ ارتباطي كان بالألم والغيرة .

لماذا طلبتَ لنا مثلجات بطعم التوت؟ هل كان تصرّفاً عفوياً؟ أم أنك تذكّرتَ حبنا لها ، وما كان يجمعنا كلما أكلناها؟! يبدو أنها أخذتنا لبعيد ، وحرّكت في القلب الكثير من الألم!

انتهى الغداء ، سلّمنا على بعضنا ، رحلتُ وحدي ورحلتَ مع زوجتك ، غادرتم بسرعة ، أما أنا جلست في السيارة متألمة وأشعر بالاختناق ودموعي هي التي تخنقني ، حتى تلك اللحظة كنتُ أتمنى لو أني أحلم ، لو أنها صدفة أو حتى لو أنه محض تشابه ، لكنّها لم تكن كذلك وكان كل ما مضى حقيقة!

في المساء اتصلتَ بي ، دهشتُ بجرأتك وقدرتك على الاتصال بعد كل هذا! لكنّ ما أدهشني أكثر هو محاولتك لقلب الحقيقة وتحميلي كل الذنب كالعادة فأنا الخائنة والغشاشة ، كيف التقيتُ بسلام وعرفتُ عن زواجك وخططت للقائك ولم أخبرك؟! بالفعل إني خائنةٌ كبيرة وممثلة محترفة!

لم أناقشكَ ليلتها ، أنهيتُ المكالمة ولأول مرة أغلقتُ أنا الخط ، وأرسلتُ لك : (ماذا لو أنك يا رفيق العمر قد أخبرتني ، أني انتهى أمري لديك ، فجميعُ ما وشوشتني أيامَ كنتَ تحبني قد بعتَهُ في لحظتين ، وبعتني !)) .

وأخذتُ أسمع الأغنية ، وأبكي . . . ((يا من على جسر الدموع تركتني ، أنا لستُ أبكي منكَ بل أبكي عليك))

يزداد ألمي كثيراً مع مرور كل لحظة على معرفتي بك ، وجروحي الآن باتت أعمق ، الظاهرُ أنك قد بدأتَ تسحب خنجرك من داخلي ، فأنا الآن أحتضر ، وقلبي يؤلمني كثيراً ، وكأنّ كل ما كان ليس إلا وهماً أوهمتني

به ، ليس إلا كذبة من أكاذيبك الكثيرة . . . لكنّها كبيرةٌ جداً هذه المرة ، أكبر من كل ألمي معك!

انسحبتُ منك لفترةٍ بعدها ، لم أحدّثك ، ولم تحاول أنت أيضاً ، كنتُ بحاجة للابتعاد حتى أستطيع جمع القليل من الطاقة لكي لا أخذل نفسي مجدداً وأسامحك على كل ما تفعله بي ، وأعود . . .!

هل يتوجّبُ عليّ حمل كل هذا الغضب بداخلي؟ كيف لي أن أتخلّص منه وأفرغه؟ أعطني ولو طريقة لأكون يوماً في مكانك ، لعَلّيْ أذيقك بعض ما أذقتني ، ولعلّك تعرف معنى الألم والغربة عن كل شيء!

لطالما كنتَ تقول لي : «لا زلتُ أسمع صوتك حتى الآن»

وتأخذ نفساً عميقاً وتكمل : «لا أمان لي إلا بوجودك وفي كل يوم تكونين معي فيه يزيد عمري ستُ سنين» وتضحك . . .

لا أعلم ما كان سر اختيارك للرقم ستة في كل مرة ، لكنك كنت تختاره دائماً ، ومنذ ذلك الوقت نشأت علاقة عشق خفيَّة بيني وبينه ، فجعلته رقم الحظ الخاص بي ، الحظ الذي بات عابساً منذ بداية قصتنا . . .!

بقينا على هذا الحال تقريباً لشهرين ، وأصبحت الأيام تمر متشابهة ، وتمضي مسرعة دون أن أفهم من تفاصيلها شيئاً!

لم نحدّث بعضنا أبداً ، ولا حتى بالرسائل! بادرتَ أنت بالاتصال ، كان الوقت متأخّراً ولم أتوقع اتصالك لم تنطق يومها أي شي سوى : «أودُّ رؤيتك ، وأتمنى أن تعطيني هذه الفرصة ، أعتقد أن هذا من حقي»

وكأنك كنتَ تحفظ تلك الحروف حفظاً . . .!!

وافقتُ على اللقاء بعد إلحاحٍ منك ، قررتُ رؤيتك ومواجهة كل ما تبقّى لدي من مخاوف . . .

قبل أن أخرج للقائك ، لبستُ أجمل ما عندي ، وحاولت الظهور بأجمل منظر ، لم أرد إشعارك بالخيبة الكبيرة داخلي والتي سببتها أنت ، لم أرد أن أكشفها لك فسترتها بالقليل من الثياب الجميلة ومساحيق التجميل . . .!

عندما رأيتني ، ذُهلتَ ونسيتَ حتى أن تسلّم ، جلستُ على الكرسي المقابل لك وأنت لا تزال تحدق بي ، أشعرتني نظراتك تلك بقوة كبيرة ، وبقدرة على التلاعب بك وكسر رجولتك المزيفة!

كان اللقاء كلقاء الغرباء الذين تفرّقوا منذ آلاف السنين وعادوا يلتقون مجدداً بأنصاف أشباه للشكل والمشاعر!

بعد السؤال عن الأحوال والصحة قاطعتُ حديثكَ المزيف ونظرت لعيونك بقوة وسألتك :

«أتدري؟ لا أهتم لأي شيء الآن ، لكنّي فقط أودُّ أن أعرف ، كيف حصل هذا وأنا لم أشعر؟!»

نسيم : «هل ستستمعين لي؟»

فرح : «سأسمعك ، لكني لا أعدك بالتّفهم ، فقط تحدّث . . .»

نسيم : «كنتُ أعرفها مثلما عرفتُ الكثير غيرها وكنتِ تعرفين ، لكنّي أبداً لم أفكر بالزواج منها ، ولم أكن أنوي الزواج بغيرك أبداً ، لكن ما حدث أني كنتُ أتحدثُ معها على الهاتف عندما دخل والدها وأمسكها وهي تحدثني ، وبدأت من هنا المشكلة .

أردتُ أن أنهي علاقتي بها في تلك الليلة ، وصادف وقتها أن اتصلتُ بك وكان خطك مشغولاً ، عاودت الاتصال مجدداً وكان لا يزال مشغولاً ، وبالطبع لم يخطر ببالي إلا موضوع الخيانة» .

أجبتكَ ساخرةً : «اللهم زد وبارك بالخيانات «!!!

نسيم بعد صمت : «أعمتني الغيرة يا فرح وشككت ، ولا أعلم كيف تملَّكني الجنون بسرعة»!

: «أنتَ مقتنع بما تقوله»؟

: «هذا ما حدث»!

: «ألا تشعر أن أعذارك واهية جداً؟ وسخيفة أكثر من اللازم»؟

: «دعيني أكمل ثم احكمي علي» .

أشرتُ برأسي أن تكمل مع نظرة ازدراء وسخرية . . .

نسيم : «لا تلوميني ، أعمت الغيرة قلبي وعقلي ولم أشعر بنفسي إلا عندما أغلقتُ الخط مع سلام ، وجدتُ نفسي تحدثت معها ، وأخبرتها أني سأتقدم لخطبتها ، شعرتُ أني سأنتقم منك بهذه الطريقة ، ولم أكن مدركاً أني أنتقم من نفسي ، وستدفع سلام معي الثمن!»

فرح : «كالعادة هذه المرة أيضاً صدّقتَ ظنونك ، وتغيرت! أخطأت لكنَّ خطأك هذه المرة كبير جداً ، وقوي لدرجة يصعب السيطرة عليه مجدداً!

تركتني وتخلّيتَ عن أحلامك معي فقط بسبب القليل من الأوهام ، أتعلم؟ هي ليست أوهام لكنّ أحلامك معي كانت أضعف من خيط عنكبوت ، وأضعف من ملامح وجهك الضعيفة ، فلم تحتمل القليل من

الغيرة المصطنعة ، هذا إن اعتبرنا أني صدّقت هذه الأعذار الغبية ، عذرك سخيف جداً ويصعب عليّ تصديقه ، وغلطتك هذه بألف . . .»

حاولتَ إقناعي بأنيَ الأولى والأخيرة وزوجتك هي الدخيلة ، وأنك تخونني معها لا العكس!

لم أكن أدري إن كنتَ تكذب علي أم تكذب على نفسك؟ لكنّي كنتُ على يقين بأنك كالعادة تكذب!

لم أنظر لك ، لكنك وبكل وقاحة لم تبعد نظركَ عني ، وبوقاحة أكبر : «فرح سامحيني»

نظرت لك وأغاظتني قوة بأسك ، وقدرتك على سحق مشاعري!

: «أنا ما عندي تسامح ، أضعته كله معك وفيك . . .!»

سكتُّ قليلاً وقلت لك : «إن أردتَ يوماً إخباري الحقيقة أعد الحديث معي ، أما إن بقيت مصمماً على الكذب فلا تُرني وجهك هذا مجدداً . . .»

وغادرت . .!

غادرتُ وفي قلبي تجتمع كل النهايات ، وفي روحي العالقة بيني وبينك رسا كل الألم ، وفي عيوني كل نكران لكلامك ، جمعت أحاسيسي وربطت قلبي بما بقي بداخلي بقوة ، وقررتُ ألا ألتفت للخلف ، غادرتُ المكان والتفاصيل والحكايات وغادرتك ، لكنّي لم أستطع أن أغادر حبي لك وأرحل ، أو حتى أن أجفاه لقليل من الوقت وأعود! فبقيتُ عالقةً هناك ، بين حبي وترددي وصدمتي الكبيرة!

وابتعدنا مجدداً . . . وفرّقتنا الدروب مجدداً ، وحالت بيننا خياناتك

مجدداً ، لكنّ بعدنا هذا المرة كان مختلفاً ، ولم يستمر فقط لساعة أو ساعتين ، بل طال أكثر ، واستمر من الطرفين!

أصبحتُ أذهب للجامعة وأعود لأنام ، آكل ، أدرس ، ولا شيء آخر ، لا نسيم في حياتي ، أخرجتك من كل تفاصيلي ، وحاولت أن أرسم لي حلماً غيرك ، وبدأت أحققه وحدي ، إلى أن اتصل بي رقم مجهول في ليلة من تلك الليالي ، وكان الوقتُ متأخراً ، لكنّ جلّ إحساسي أشار أنك أنتَ المتصل ، أجبتُ وكنتَ بالفعل أنت ، لم نتحدث وكانت مكالمة أقصر من كل حدود القصر ، فقط قلت لي : «لا زلتُ أحبك يا فرح ، رغم كل شيء أحبكِ» وأنهيتَ الاتصال .

أرسلتَ لي بعدها : ((سأسكرُ حتى يهتزَّ الكأس بيدي ، وأموتُ سكراناً ولا شيء أشكاني ، فأنا لا ألوم كل كأس خمر أسكرني ، بل ألوم كل فنجان قهوة أصحاني ، فشارب الخمر يصحو بعد سكرته ، وشارب الحب طول العمر سكران)) .

عجبتُ منك ، ودقّ قلبي كثيراً ، لا أدري لماذا اتصلت! وما الذي يجعلك معي في هذه اللحظات رغم وجود سلام ومضي الكثير من الوقت على الفراق!

عاودتَ الاتصال بعد نصف ساعة تقريباً . . .

نسيم : «كوني لي فقط هذه الليلة ، أرجوكِ أنا بحاجتك ، أرجوكِ ، كوني دون ألم ، دون عتاب ، أنا أموت يا فرحي أموت . . .!»

فرح : «مابكَ يانسيم ؟ أرعبتني «

نسيم : «اشتقتك يا شقا عمري ، حنيتُ لك ، أرجوكِ كوني لي هذه الليلة فقط ، ثم عودي وعاقبيني كما تشائين» .

أجبتك : «جيت متأكد بسامح ، راسم الطيبة ملامح ، ماهو بدري أنت تدري؟ ما قتلني غيابك أكثر من حضورك . .!

وبس أنا يا ضيّ عـمـري ،كنت عـوّدت الأمـاكن تألف بعـادك وصدّك . . . يلي ما يرضيني ضعفك ما أدري أنثر فوق كتفك أغلى دمعي أو أردك؟»

لا أدري من أين أتت فرح القديمة؟ ولا أدري حتى كيف استطعتَ أن تقنعني ، لكنني استسلمت وعدتُ لك تلك الليلة ، فأنت كعادتك لم تتغير ، وتستطيع السيطرة على الكثير مما فيَّ ، وأنا كالعادة أيضاً لا أدري الكثير ويبدو أن الشوق غلبني فلم أعبِّر عن موافقتي وسكتُّ ، فرحتَ تغني :

((وحشتيني ، وجيت أسأل ، وأظن أني على بالك)) ، ارتجَّ صوتك قليلاً وكأنك تبكي وأكملت :

((أحبك يا أجمل الإحساس ، وحشني حبك المجنون ، متى ترضى علي وتحن؟ يا أنتَ يا أحلى ما في الكون . . وحشتيني . . وحشتيني . .))

أحبُ صوتَكَ ، وكلَّ ما تغني . . . لم ننم ليلتها ، أبكيتني كثيراً ولم نحكِ عن أيٍ مما حدث ، ولا حتى عن سلام!

شعرتُ كم كنتُ محتاجة لك ومشتاقة لكل ما فيك ، حتى لكلمة أحبك تلك ، سهرنا حتى طلع الصباح الذي جلبَ لنا معه الواقع الصلب ، لا أتذكَّر كيف أنهينا الاتصال ، وكيف استطعنا العودة للوضع السابق وكأنَّ تلك الليلة لم تحدث!

ربما كانت هذه المكالمة بمثابة مخدر لنا ، لكنَّ ألم الندم زاد كثيراً بعد غياب تأثير ذاك المخدر على الفور ، وبقيت أتساءل كيف قبلت عرضك ذاك؟ وكيف عُدت؟!

بعد تلك المكالمة ابتعدنا سنين ، إن تحدثنا نتحدث مرة كل شهرين فقط للاطمئنان على بعضنا ، فأحداث قصتنا لم تسمح لنا بأن نستمر بالتواصل أكثر من ذلك .

في هذا الوقت قطعتُ أنا شوطاً كبيراً في دراستي ، لكن إنجازك كان أعظم ، فبهذه الفترة أصبحتَ أباً!

كلٌ منا أضاف لبناء حياته لَبِنَه ، لكن على انفراد دون الآخر . . .!

***

أما الغيرة في نور فكانت زائدة جداً عن الحد الطبيعي ، فقد كان يغار حتى من صديقاتي!

أذكر يوماً كنا نجلس أنا وزميلاتي في الجامعة عندما أتى زوج إحداهن لأخذها وسلَّمَ علينا جميعاً ، أتى نور وغَضَبُ الأرض يطلُّ من عيونه . . .

نور : «فرح ، لحظة لو سمحتِ»

فرح : «أهلا نور ، تفضَّل»

: «من هذا»؟

: «أي»؟

: «الذي سلَّم عليكِ قبل قليل»؟

: «زوج زميلتي ، لماذا تسأل»؟

بغضبٍ وحِدَّة : «وما دخله بك؟ لماذا يسلّم عليكِ؟ ما ياخذ مرته ويروِّح؟!»

: «لما كل هذا الغضب يا نور»؟

: «ليس غضباً ، فقط لم أعجب بتصرفه ، ولم يكن عليكِ التسليم عليه!!»

حاولتُ تجنُّب النقاش لأنه كان محتداً ، لكنَّ هذا الموقف والكثير من المواقف جعلتني أفكر بأن علاقتي به يجب أن تتوضح وحان هذا الأمرا

كان نور الوحيد الذي يدعمني باستمرار ، يساعدني كثيراً في أمور الدراسة ، يحثّني دائماً على التميّز ، لا يدعني أفوّتُ مؤتمراً أو ندوة علمية إلا وأحضرها حتى أكتسب المعرفة ، كل دورة تعليمية كانت تقام بمجرد أن أسمع عنها لأول مرة أكون متأكدة أني سأجد اسمي مسجلاً فيها بفعل نور ، حرصاً منه على تفوقي الدائم ودعمي المستمر لذلك كان اتخاذ أي قرار بشأن علاقتي به صعباً جداً ، وسيؤثِّر عليَّ وعليه سلباً ، فعدتُ للمنزل وجلستُ أفكّر : (لا زال شعوري إلى الآن وبعد كل هذا الوقت عجزٌ تامٌ عن تكرار قصة الحب ، ولم يتخطَ شعوري بنور الصداقة أو حتى أقل ، فيمكن لي الابتعاد عنه في أي وقت ، لكنَّ حبه الظاهر في عينيه ، وثقتي الكبيرة به لم يسمحا لي يوماً بالابتعاد ، ولا حتى بالتفكير لمجرد التفكير بجرحه ، لكنَّ وجوده بجانبي يعني أنه سيعتاد عليّ ويتعلق بي أكثر ، وسيصبح ابتعادي عنه قاتلاً . . . . . .)

كنتُ على يقين أن لا شخص يموت عند فراق شخص ، إلا أني شعرت روح نور عالقة بين يدي ، لذلك وبعد التفكير قررتُ الانسحاب منه تدريجياً دون أن أشعره بانسحابي ، وفعلت . . . لكنّي لم ألبث أن بدأت بالانسحاب حتى شعر نور بتغيري ، فصارحني وقال

: «فرح ، أنا أدرك حقيقة مشاعرك اتجاهي وأعرف أنك لم تبادليني الحب يوماً ، لكنّي معك لأني أحبك وأكتفي بهذا ، أنا معك حتى أحميك ، أنا متمسكٌ بكِ لأبعد حد يا فرح دون أن تكوني مُطالَبَة بأي

شيء ، فقط ابقي معي» .

: «و ماذا بعد يا نور؟ أنا لا أحب أن أراك ضعيفاً»!

: «فـرح ، أنا أريد الارتبـاط بك ، أريد أن أقـضي بقـيـة عـمـري بجانبك» .

: «ما بالك يا نور؟ لم نتفق على هذا منذ البداية ، أنت تعلم أن هذا الأمر مستحيل»!

: «لكن لماذا يا فرح؟ فقط أخبريني لماذا لا؟ وأعدك بأني سأفعل ما تريدين»!

لم أعرف ماذا أجيب فقط توقفت عن الكلام وغادرت!

في اليوم التالي بعد انتهاء المحاضرة ، جلسنا وتحدّثنا ، كانت آخر مرة أحدّثه فيها لم أتواصل معه بعدها ولا أعرف الآن عنه أي شيء ، تحدّثت معه بصراحة وأخبرته أني لن أكون له يوماً ، وأن عليه النسيان والبدأ من جديد ، سكبت كل ما يدور في رأسي من أفكار على قلب نور ، شعرتُ بألمه وأشعرته بأهمية ما قدّمه لي ، لم أستطع أن أغض الطرف عن مشاعره التي باتت تكبر كل يوم ، كنتُ لا أزال بحاجته وبحاجة دعمه لي ، إلا إني آثرتُ الابتعاد والاكتفاء بهذا القدر من إيلامه .

يومها كتبتُ على حسابي في فيس بوك : (الصراحةُ في بعض الأوقات تكون جارحة موجعة ، لكنها إن كانت تودي بنا للراحة بعد التعب فإنها السبيل الوحيد والحل الأنسب رغم الألم) .

فعلّق نور عليها : (يموتُ العشب إذا لم يسقى)

وأرسل لي : (أتعلمين يا فرح؟ ربما لم تبادليني أي شعور بالحب ،

لكنكِ صادقة لحد لم يسمح لك بالتلاعب بمشاعري ، أقدّر لك حرصك عليها ، وأعلم أن طلبي الارتباط بشخص لا يحمل لي إلا مشاعر أقل من عادية هو جنون ، لكنَّ هذا ما يفعله بنا الحب ، لا أتمنى لكِ سوى الخير والحب ، لم يجمعني بكِ إلا كل جميل ، ربما أنا من ابتعد بمشاعره عن الطبيعي ، لكنَّ هذا شأن القلب ، ولا حكم لي عليه ، تأكدي سأبقى دائماً متمسكاً بما قلته لك مرة : «إن كان لي مكان بحياتك بنسبة ١٪ أرجوكِ لا تبخلي به علي ، فكِّري بكلامي كثيراً وإن احتجتِني تعرفين أني سأكون دائماً بجانبك ، أتمنى أن لا ترسلي رداً . . .وداعاً) .

عندما قرأتُ الرسالة شعرتُ أن نور ودّعني وفي عيونه دمعة وفي وجهه ألف تعبير وفي صوته ألف صرخة مكتومة ، فأرسلت له : (الأشخاص الرائعون ، الهادئون ، الوفيّون قليلون في حياتنا وربما لم ولن نقابلهم كثيراً ، لكنهم إن وجدوا أوجدوا السعادة وتركوا في ذاكرتنا بلسماً خفيفاً يعيد للروح نضارتها باستمرار وهذا أنت يا نور) .

من بعدها لم أعرف عنه أي شيء ، انتقل من الجامعة ، رأيته مرة صدفة عند باب الجامعة ، لم يسلم علي وابتعد كثيراً عن المكان الذي كنت فيه ، كما ابتعد أكثر عن حياتي التي دخلها وخرج منها ولم يترك له فيها إلا كل انطباع جميل ، وإحساس بالأمان والمحبة ، ربما لن يحبّني أحدٌ مثله مجدداً ، لكنّي مكتفيه بذكراه الجميلة التي ترسم على وجهي الابتسامة كلما خطر ببالي طيفٌ منه .

لم أعرفه لكثير من الوقت ، كانت زمالتنا لمدة سنة كاملة ، ترك في داخلي أثراً كبيراً بحبه وطيبته ومساعدتي في دراستي ، وتشجيعي على السير نحو مستقبل مشرق ، وبقيت صورته جميلة في عيني رغم أني بعد الفراق بفترة فتحت التلفاز وإذا بأمسية شعرية يقرأ فيها الشاعر بدر بن عبد

المحسن قصيدته (كلنا عشاق لكن كل واحد له حكاية) التي جلستُ أفكِّر أين سمعتها من قبل؟ فتذكَّرت أن نور ألّف لي هذه القصيدة ولكنها على ما يبدو سُرِقَت منه!!!

اكتشفت أنه أيضاً كذب علي ولكن بطريقته . . .!

أمِنَ الغريب أني لم أحكِ لك عنه يوماً يا نسيم رغم أني الآن أكتبه بين سطوري؟!

في وحدتي الآن أبحث عن نور، لا لألتقي به وأحادثه من جديد، بل لأشعر بدفئ إحساسه العذب، الذي لم يكن بمقابل، إحساسه الذي لم ألمس أنقى منه .

رغم كل ما قدّمه نور لي من مشاعر ودعم وثقة لكني لم أخنك معه ولم يخطر ببالي أن أكون شبيهتك، لم أرغب بتجربة طعم الدموع الممزوجة بألم الخيانة . . .!

***

كانت الأيام بعد أن افترقنا تمضي بطيئة أكثر من العادة، كانت مملة وينقصها الكثير من الحب والسعادة، حتى خيبات الأمل كانت تنقصها، كل ما جمعني بك يا نسيم كان ينقصني، الضحك، اللعب والحب، فإحساسي بالفقد كان هو الطاغي على كل شيء!

حتى الأعياد التي كانت تجمعنا؛ في بعدك اكتشفت أنها لم تكن إلا مجرد أسماء تطلق على الأيام، لكنها لا تغيِّر فيها شيئاً، إلا ذاك الاسم عكسنا تماماً، فلطالما نتغير ويبقى الثابت فينا مجرد اسم!!!

نضجتُ جداً في هذه الفترة، ملامحي تغيَّرت، طوّرت نفسي في الدراسة والقراءة، كل شيء بداخلي تقريباً تغير إلا قلبي! لا يزال كما هو

ينبض بكَ . . . ولا زلتَ تسكنه تماماً كما كنت!!!

على غير العادة ، استفقت اليوم مبكرة من النوم ، في داخلي فرحة كبيرة وأمل كبير ، لكنّ هناك ما ينقص فرحتي ، فاليوم حفل تخرجي من الجامعة ، اليوم سيكون حصاد تلك الأربع سنين التي عشتَ في كل لحظة منها معي ، لطالما بيتُّ نية نسيانك في كل لحظة منها لكني فشلت . .!

فشلت في نسيانك ، لكني لم أفشل بدراستي! وفرحتي اليوم بتخرجي كبيرة جداً ولا يعادلها شعور . . .

أتعلم؟ لم يكن ألمي هو ضعفي ، ضعفي كان في الاستسلام لذلك الألم ، نعم آلمتني كثيراً وآلمني ابتعادي عن الكثير من الأحلام ، لكنّي لن أضعف الآن وسأعود لها من جديد .

وكما قالوا : «على قدر حلمك تتسع الأرض» ، وبالنسبة لي الأرض واسعة جداً وحلمي أوسع بكثير ، أفتقد وجودك بجانبي ويؤلمني هذا ، لكن حان دوري لأفرح قليلاً ، لأجني حصادي الجيد مما زرعت . . .

لم يخطر ببالي يومها أني سأراك ، ولم أدرج هذا ضمن أحلامي ، ارتديت روب التخرّج ، وجهّزت نفسي لتقبُّل التهاني من كل من هم حولي ، وأبعدتكَ كثيراً عن ترتيباتي تلك .

صعدتُ للمنصة متجهة لاستلام شهادتي وسط تصفيق وتصفير وتهنئة ، وفي تلك اللحظة كانت كل فرحة الدنيا تسكنني ، حتى أني نسيتك ولم تخطر ببالي ، لم أشعر بحياتي أجمل من ذاك الشعور ، عائلتي وصديقاتي ، الكل أمامي يصفق كلهم فرحون بي ، ويشاركوني هذه الفرحة .

استلمت الشهادة ، وأنا أنزل عن المنصة رأيتك أمامي فتوقفت!!

كـان المفتـرض بي أن أتحـرّك بسـرعة وأنزل ، إلا أني وقـفت مـذهولة ونسيت كل ما هو حولي ، فقط وقفت أشاهدك بلهفة ، نزلت عن المنصة وأنا لا أزال أحـدق بك ، وعندمـا اقـتـربت منك حـرّكتَ شـفـاهك بـ : أحبكِ . .!

وبعدها اختفيت . .!

لكم تخيّلتُ هذه اللحظات ولكم انتظرتها ، لـطالما رسمتك بنفس هذه الصورة ، لأول مرة يتحقق لي حلم معك ، نفذّتَ الحلم بحذافيره وكأنّك أنت الذي حلمته ، كان مطابقاً لحلمي لكنه اختلف فقط بطبيعة العلاقة التي تجمعنا ، لذلك لم يتحقق الحلم كاملاً بل تحقق نصفه ، شعرت بفرحتك بي ، كانت ظاهرة في عينيك ، لا أدري أكانت فرحة أم فخراً؟ إلا أني شعرت بها . . .

لا زلتَ تمثّل نصف أحلامي ، والأحلام لا تكتمل بنصفٍ واحد! في كل ذكرياتي أنت ، فأخبرني كيف أنساك. .؟!

بعد التخرّج ، تجنبت البقاء في المنزل وأخذت أبحث عن عمل بسرعة ، لم أرد أن أسمح للفراغ باحتلال جزءٍ من وقتي ، لأنه بالتأكيد سيقضي علي إذا اتّحد مع مشاعري نحوك . . .!

عملتُ في جريدة ، وأتذكّر أنّ أول من ساعدني كان أستاذ (سامح) مدير الجريدة ، فعندما قدّمت له أوراقي علق وهو يضحك :

«ما شاء الله ، نسبة جمال مرتفعة ، ومعدلٌ أيضاً . .!»

للوهلة الأولى كان انطباعي عنه سيئاً وظننت أنه من محبي النساء ، لكنّ تعاملي معه بعد ذلك أثبت لي العكس تماماً .

أعطاني السيد سامح نتيجة قبولي في نفس اللحظة ، وباشرتُ العمل

بعدها بيوم ، ميدان العمل يختلف كثيراً عن الدراسة ، فيه مسؤولية أكبر ، وجهد أكثر ، لكنّه يساعدني في ((تحقيق ذاتي)) ـ الكلمة التي لطالما سمعتُ عنها ولم أفهمها إلا بعد أن جربت العمل ـ بدأتُ أكتسب الخبرة ، وبدأت أحب العمل لكني لا زلتُ أحبك أكثر . . وأكثر . .

منذ شهور طويلة لم أزر حديقتنا ، فشعوري بالألم والندم والأسى كاد يقتلني ، حاولت الابتعاد قليلاً كي أترك للجرح فرصةً حتى يجف ، لكنّي اليوم قررتُ أن أزورها ، فحنيني زارني وأجبرني على الذهاب ، عندما وصلت الحديقة وقفتُ على المدخل ، وشعرتُ بالعجز ، وبأن أقدامي لا تستطيع حملي ، لم يكن لدي الجرأة لملاقاة ذكرياتك ، وليس لدي طاقةٌ للتذكّر ، لكني قررت الدخول ، ودخلت . . .

ضرب قلبي زلزالٌ ثائر بعثر سكونه الذي كان لم يهدأ بعد ، عادت لي رائحة عطرك مع الدخان ، صورتك وأنت تضحك ، صوتك وأنت تغني ، دموعك التي ذرفتها هنا ، تذكّرتُ كل شيء . . .!

تخيّل؟ حتى حروفنا لا زالت بمكانها ، فقط نحن من تغيّر ، فقط نحن!

سرحتُ قليلاً بأفكاري وذكرياتي حتّى ثار علي قلبي وثارت معه كرامتي ، غضب إحساسي ، وفاقت معه كل جروحي وتظاهرت فجأةً ضدي ، لم أكن قادرةً على المواجهة فبكيت وانسحبتُ بسرعة ، تركتُ خلفي كل الذكريات ، وأخذتُ معي كل الألم والوحدة .

بعد مغادرتي للحديقة وبعد كل تلك السنين لم اكتشف إلا أن نسيانك لا زال حلماً صعب التحقق بالنسبة لي . . .!

***

الليلة وأنا جالسة أكتب لك ، تذكّرتُ أني نسيتُ هاتفي في السيارة ، ولربما خطر لك الليلة أن تحدثني على غير عادة ، لذلك نزلتُ لأحضره .

فتحتُ السيارة ، وجدتُ الهاتف وتفقدته كأني غائبةٌ عنه منذ زمن ، كنت متوقعة أن أرى مكالمة أو رسالة منك لكني لم أجد أيَّ شيء ، أغلقت السيارة وقررتُ أن أعود لكتابتي ، إلا أني لمحتُ شيئاً يضيء أمام المنزل ، ركّزتُ قليلاً وإذا به ضوء سيجارة ، لم يخطر ببالي غيرك ، اقتربت بلهفةٍ حذرة فرأيتك . . .!

كنتَ تجلسُ أمام المنزل على مقدمة السيارة وتدخّن . . .

عادةً كنتَ تمر من أمام البيت وترفع صوت الأغاني حتى أعرف أنك أنت الذي مررت ، لكنك هذه المرة اخترت الهدوء والصمت ، وكان واضحاً عليك الحزن والتعب . . .

اقتربتُ منك ، لم يكن بيني وبينك سوى قضبان البوابة الحديدية ، كان حديدها مشدوداً حول قلبي وقلبك ، لم أتجرأ حتى أن أفتحها ، وقفتُ أمامها مقابلةً لك ، نظرتَ لي ونفختَ دخانك مع نظرة ضعيفة كلها ألم ، واقتربت . . .

ركّزتَ النظر في عيوني وقلت : «جرعات الفقد في غيابك زادت علي ، ولم يعد بإمكاني احتمال المزيد ، زار الخريف قلبي وبدأت أوراقه تتساقط ، ارجعي لي يا فرح ، أنا أرجوكِ . . .!»

قتلتني كلماتك ولم أنتبه لنفسي إلا وأنا أسألك : «لماذا فعلتَ بي كل هذا؟ قتلت روحي وأحرقت روحك لماذا؟»

: «نادمٌ يا شقا عمري ، نادم! عودي وأعدك أن أعوّضك ، فقط عودي وأعيدي لي معك الفرج والفرح» .

تلاشت قوتي وعزمي على البعد عنك ، تلاشى كل ألمي ، وكدتُ أن أعود ، لكنّ صورة سلام خطرت ببالي فجأة ، لم أفكّر بأي شيء ، بعثرتُ حبي حولي وقلت لك : «تأخّرتَ كثيراً ، أنا نسيتك الآن . . .!»

لا أدري كيف قلتها! كم كنت كاذبة وأنا أقولها ، أكون كاذبةً جداً عندما أتحدث عن نسيانك بثقة ، فالحديث كاذب والثقة مزيفة . .!

صعدتُ إلى المنزل وحاولت إكمال كتابتي ، لكنّي لم أفلح إلا في التفكير بك ، حيّرني ذاك الألم في عينيك ، وذوّبَتْ كلماتك جمودي ، وضعتُ رأسي على وسادة الألم وقبل أن يخطر أي موضوع ببالي نزلت دموعي من عيوني وكانت حارة جداً حتى كادت أن تحرق ما تبقى من قلبي ، لم أعرف ما سبب نزولها إلا أنها جعلتني أفكر بكل ما مر بيننا فكّرتُ بكل الحب ، كل الألم ، كل الأمل والخوف ، الخيانات ، المزاح والأحلام . . . كل شيء . .

كانت صباحاتي في بعدك متشابهة ، نفس الوجع كل صباح لكنَّ مقدار الحنين في كل صباح يكبر ، صباح اليوم كان أول ما سمعته صوتَ السكون حولي ، هزّني ذاكَ السكون من الداخل ، وبدأتُ يومي بالتعب وأنهيته في المستشفى ، فتحت عيني مع صوت الطبيبة : «الحمد لله على السلامة» .

فرح : «أين أنا؟»

: «أنتِ في المستشفى ، هل تشعرين بشيء؟ أهناك ما يؤلمك؟»

: «رأسي يؤلمني كثيراً ، وأشعر بالتعب» .

طلبت الطبيبة بعض التحاليل ، وكان عليّ الانتظار لليوم التالي حتى أعرف نتائجها وسبب التعب .

يبدو أن زيارتك البارحة أتعبتني كثيراً ، وأودت بي إلى المستشفى ، إضافة لأن اليوم هو عيد الصداقة ، صداقتنا أنا ووفاء .

لأول مرة منذ عشر سنين لن نحتفل أنا وهي ، ولن نكون معاً لنعاهد بعضنا بالوفاء للنهاية ، فقد حصلت وفاء على فرصة عمل ممتازة في الخارج ، وقررت السفر ، الذي زاد وحدتي وحدة ، وأبعدني عن أغلى إنسانة على قلبي ، صحيحٌ أن ثورة التكنولوجيا خففت من حدة البعد ، لكن ظروف الحياة هي التي تصنع هذا البعد وتبلينا به ، ورغم حاجتي لها في كل وقت لم يكن بيدي وقتها إلا أن أشجعها ، فلا مثيل لتحقيق الأحلام ، رغم أن بعدها سيقضي على ما تبقى مني ، لكنّي لم أكن أنانية أبداً ولم أطلب منها حتى تأجيل سفرها ولو لدقيقة ، تحديداً بعدما قرأتُ ما كتَبَتْ على فيس بوك : (بناءُ المستقبل يحتاج للكثير وربما يحتاج لأكثر من الابتعادِ عن من نحب ، حتى وإن كان لفترة ، السعي الدؤوب للوصول إلى الأهداف وحب تغيير الواقع بأفضل منه يولّدان الحياة ، لكنهما يولّدان معها الشعور بألم الفقدِ والافتقاد للكثير . . .)

قبل يومين كنتُ قد قررتُ أن أزورها ، وتحدّثتُ معها حول الموضوع ، اتفقنا أن أتّخذ الإجراءات اللازمة للسفر ، وهذا ما حدث ، كاد تعبي اليوم أن يحول بيني وبين السفر ، لكن نتائج التحاليل كانت سليمة وإيجابية وتوقّعت الطبيبة أنها مجرد توعّكات نفسية ، وأنا في قرارة نفسي كنت أعلم هذا جيداً ، فالراحة النفسية هي فقط ما يلزمني . . .

ألا يكفي ما فعلته بي إلى الآن؟ ها أنا أساعدك بعذابي أيضاً ، وأمدُّ لك يداً من قوة لأبقي عذابك بقربي أكثرا

***

خَطَرَ لي وأنا في المستشفى عندما كُسِرَت يدي مرة ، كنتُ ألعب كرة القدم ، في ذاك اليوم دفعتني فتاة من الفريق المقابل فسقطّتُ على الأرض بقوة ، وكسرتُ يدي . . .

عندما علمتَ عما حدث ، كنتَ كالمجنون ،

: «لماذا لم تخبريني منذ الصباح؟»

: «قلتُ لك كنتُ في المســتــشــفى وهاتفي ليس مــعي ، يكفي عصبية» .

: «وكيف يدكِ الآن»؟

: «تؤلمني كثيراً ، وخائفة أن تبقى هكذا!!!»

: «إن شاء الله ستكون بخير ، حبيبتي بلا تشاؤم»

: «ليس تشاؤماً ، لكنَّها تحكني كثيراً تحت الجبيرة»

ضحكتَ وقلت : «دلوعتي الحلوة ، كلها كسر ويروح . . أساساً هذه خطيِّتي ، تستحقّين» .

وفي تلك الليلة ، تسللتَ إلى المنزل ، وتركتَ لي على النافـذة ورداً أبيض ، وعصا طويلة ورفيعة جداً ، لففتها بورقة مكتوب عليها ((حبيبتي الدلوعة أحضرتُ لكِ هذه العصا من أجل الحكَّة ، مع أني سعيدٌ بخطيتي تلك ، وأنتظر الإمضاء على الجبيرة ، أحبكِ))

اتصلتَ بي وقلت : «بنت ، من أحضر لك الهدية التي على الشباك؟ بتخونيني ها؟ وأغلقتَ الخط» .

ولأني أعرف ألاعيبك وصلتُ النافذة وأنا أضحك ، وجدتُ الهدية ، وطرتُ بها ، خصوصاً العصا كثيرة الاستخدام منذ تلك اللحظة . . .

أين أنت الآن؟ أين ذاك الحب؟ حبيبتك الدّلوعة الصغيرة يؤلمها الحنين لك ، فارجع إلي فلم أعد أحتمل أكثر !!

في المستشفى رأيتُ الكثير ، لأول مرة أنظر للأمور بهذه الطريقة ، رأيتُ من يحتفل بمولودٍ جديد ومن يودِّع شخصاً هلكت روحه وآثرت الفراق ، رأيتُ البداية والنّهاية ، وأدركتُ أن العمر لحظة ، وأنا أضعتها في الألم ، وَهِنْتُ وأنا في أول الدرب ، أتعبتني تجربتي معك كثيراً ، هنا وعلى سرير المستشفى ، اكتشفت أن حبي لك باهظ الثمن ، ثابتٌ في داخلي وراسخ ، واكتشفتُ أن حبك لي لحظي فقط ، يأتي متى يريد ويرحل متى يشاء ، تعدني بالكثير ولا تفي إلا بأقل من القليل ، هذا أنت فحتى في قمة ألمي وتعبي تبقى كاللص الهارب من النسيان يركض ما بين ثنايا الذاكرة ، يبعثرها كيف يشاء ، ويختبئ . . . ليظهر من جديد حين تهدأ الذكرى ، فيأتي بالحنين ويبعثر سكونها من جديد ، ويذكّرني بكل ما مضى . . .!

***

أتساءل الآن ما هو الوفاء؟ أمعقولٌ أنه ما جمعنا؟ أم أنه ما فرّقنا؟ ما هو؟ أسمعهم دائما يتحدثون عنه ، لكني لم أعرفه! هل كنتَ وفياً لي؟ هل كنتُ وفيةً لك؟ هل عرفنا معنى الوفاء فعلياً؟ أم أنه مجرد اسم؟!

إن كنا قد عرفناه ، فأين اختفى فجأة؟ وأن لم نعرفه لبعضنا ، هل عرفناه لما جمعنا يوماً؟ أيُّ وفاءٍ هذا! وأيُّ انتماء وأيُّ حب . . .؟!

أَتَذكُرُ كم وعدتني أن تبقى بجانبي؟ وبأنك لن تفارقني أبداً؟ أَتَذكُرُ وعدك بأنك لن تترك للفراق مكاناً بيننا؟ إن كنتَ لا تذكر فأنا لا زلتُ أذكر! ووحدتي الآن لازالت تُذَكِّرُني بكل تلك الوعود ، وتضرب قلبي بكل

عزم ، وتلومني على تصديقك ، فها أنت تركتني وتركتَ الأماكن والأحلام والوعود للألم والفراق ، وها قد أصبحنا كالقلوب الضائعة لا ينتمي أي فينا لأحد!

***

بعد خروجي من المستشفى محملة بكل تلك الأفكار ، لم يزدد تعبي إلا تعباً ، حتى في العمل ، كان الهدوء والملل والحزن ، هو الجو المحيط بي ، فأجواء العمل كانت مرتبطة دائما بنفسيتي وجميع من يعمل معي يتأثر بهـا ، أتحكم بالأجواء كـمـا أريد وترتكز بشكلٍ كـبـيـر على كل الطاقـة الإيجابية التي أمنحها لهم ، لكنني عندما احتجتُ للقليل منها لم أجد من يسعفني بها ، ويعصم قلبي عن الألم!

لاحظ سيد سامح هذا الموضوع ، وطلب مني أن أحضر لمكتبه ، ذهبتُ وكلّي ثقة بأنه سيلومني على ما أنا فيه .

دار بيننا الحديث ، وكان مختلفاً جداً عما توقعته ، أشعل سيجارته وأثار صدمتي عندما قال

: «اسمعي يا فرح ، أستطيع أن أرى همَّك ، وهذا الحزن في عينيك ، أتعلمين ؟»

ونفخ دخانه ، «أنتِ موهوبة جداً ، وأنا أرى نفسي فيكِ ، تذكّريني كثيراً بنفسي ، وأتوقّع منك كل التفوق ، لذلك لن أسمح لكِ بالتراجع» .

: «أنا أعرف أني تراجعت في هذه الفترة ، لكن المرض و . . .»

قاطع كلامي متعجّلاً : «لا حاجة للتبرير ، تحدث مثل هذه الأمور ، لا عليكِ» .

: «شكراً على السؤال والاهتمام ، وأعدكَ بأن أقدم الأفضل»

: «لطالما عرفتُ صدقكِ ومثابرتك في العمل ، ولأنّي أودُّ أن تحافظي على هذه الصورة سأوافق على الإجازة التي طلبتِها ، ولكن لا تأخذي على الدلال ، هذه المرة فقط» .

مهما شكرته في تلك اللحظة لم يكن ذاكَ الشكر كافياً حتى يرقى لمرتبة السعادة التي ملكتها ، ففرصتي لرؤية وفاء أصبحت أمامي ، وعليَّ أن أستغلها .

***

بعدَ أن أنجبت سلام أول طفلٍ لها _أحمد _أصبَحَتْ مشغولةً جداً ، وبدأت علاقتنا بالتلاشي تدريجياً ، كانت تلك الفترة تعيش بسلام ومحبة مع طفلكما ، وكلما مرَّ الوقت كانت مسؤولياتها تكبر معك ، وابتعادها عني يكبر أكثر ، بالإضافة لمحاولاتك المتكررة لمنعها من علاقتها بي تجنباً للمشاكل والتعب! وهذا بالفعل ما حدث ، رغم أنها ظلّت لا تعرف أي شيء عن علاقتي بك . . .

عندما كانت سلام تنتظر مولودكم الثاني ، كنتَ أنتَ شارد الذهن معي ، بدأتُ أراك في كل الأماكن ، تحاول الاتصال بي بشكلٍ يومي ، تحاول أن تفعل كل ما يمكن فعله حتى تثبت لي أنك جدير بالحب والمكانة السابقة في قلبي وفي عيوني .

منذ فترة طويلة نسيت فيها اندفاعك نحوي وتعلُّقك الزائد بي ، بتَ الآن ترسل لي رسالة هاتفية كل ساعة تذكّرني فيها بحبّك ، أتذكّر رسالة منها لمستني كثيراً وكانت : (الآن أعترف : أنا لا أعرف بهذه الدنيا إلا حُبَّكِ) ، جعلتني هذه الكلمات أشعر أني ملكتك من جديد ، جعلتني

أشعر أشياء بات الإحساس بها متأخّراً جداً ، لا أدري لماذا تأخّر لكنّي مقتنعة بأن هروبك الدائم كان هو السبب ، فلطالما كنتَ أمهر الهاربين وأكثرهم إتقاناً للهرب!

الآن . . . وبعد ثلاث سنين من زواجك ، تخطط لاسترجاعي مجدداً ، تحاول إيقاعي في شباكك من جديد ، لا أدري إن كنتَ تحاول إيهامي بحبك؟ أم أنّك تحبّني فعلاً؟ أم أنك نادمٌ ولا تجد الراحة مع غيري؟ ألا ترى أن ثلاثَ سنين فترة طويلة جداً ، ومتأخّرة جداً على اكتشاف هذا؟

أتدري؟ مع أنّي لستُ مؤمنة بهذه العودة إلا أني أتمنى أيَّ معجزة توصلني إليك ، أيَّ معجزة تجعل حبي لك مكتملاً مكللاً بحصول الأحلام وتحققها!

بعد ثلاث سنين كان حصادها زوجة وأولاد أصبحت الأمور أصعب عليَّ بكثير ولا أدري إن كان بإمكاني تحمّلها!

أتلاحظ أني لا أدري الكثير ؟؟!

إلى الآن وحتى بعد أن تزوجتَ وأنجبت لا زلتَ تطاردني وتلاحقني بكل ما أوتيتَ من عزم ، فأينما أكون تكن ، وأينما أذهب أجدك ملازماً لي كظلي ، ولا أنكر أبدا سعادتي بهذا لأنه يؤكد لي ندمك الكبير لفراقي وحبك اللامتناهي لوجودي . . .

تركيزك الكبير الآن على استرجاعي أصبح يضغط على أفكاري ويضايقني ، وأصبح من الغريب أن لا أجدك منتظراً عند باب الجريدة كلما نزلت بعد انتهاء الدوام ، وغريب أكثر إن مر يوم دون أسمع صوت أغاني سيارتك في الشارع وكأنّك تخبرني : «أنا هنا!»

زادت الأمور عن المحتمل كثيراً ، فقررت أن أضع لها حداً ، كنتَ يومها تجلس في سيارتك أمام مدخل الجريدة ، وعندما نزلتُ اتجهتُ نحوك ، وركبت بجانبك فكادت فرحتك أن تنطق وكأنك انتصرت وأعدتني مجدداً ، لكنّي صدمتك على ما يبدو عندما سألتك : «هل يمكن لي أن أعرف ماذا تريد؟ لماذا أنت هنا؟»

: «لأجلك يا شقا عمري ، وسأكون دائماً لأجلك» .

: «اسمع ، يكفيك لعباً ، لن أعود لك مجدداً ، لا تحلم»!

أدرتَ وجهك عني وبغضب وصوتٍ مرتفع : «نـــادم ، أنا نادم ، ماذا عليّ أن أفعل حتى أثبت أني نادم «؟

: «وما الفائدة من الإثبات؟ ما الفائدة من الندم أساساً؟»

: «فرح ، لا حياة لي مع غيركِ ، أنا منتهٍ وكل حياتي مع سلام أقنعة وتمثيل ، أنا لا أضحكِ من قلبي إلا معكِ ، لا أخلع أقنعتي ألا عندما أراك ، ماذا علي أن أفعل؟ أخبريني؟»

: «عد لبيتك وحاول أن تحبَّ ما اخترت ، فأنا لم أجبرك على شيء ، عد إليها واقتلع شوكك بيديك ، ألم يكن هذا اختيارك منذ البداية؟»

: «فرح ، فرح ، فرح ، أرجوكِ لا تفعلي ، لا تتركيني لن أستطيع إكمال طريقي دونك . . . .»

: «فقط أخبرني سبباً واحداً تزوجت سلام وتركتني لأجله ، شيء يجعلني أصدقك ويخفف ألمي»

: «أتذكرين عندما طلبتك للزواج ورفضتني أمك»؟

: «نعم أذكر»

: «.كنتُ يومها قد حدّثت أهلي عنكِ وقررنا أن نأتي لخطبتك ، لكنَّكِ اتصلتِ بي وأخبرتني أن أمكِ لم توافق وأنَّ عليَّ انتظارك أربع أو خمس سنين على الأقل حتى تنتهين من دراستك»

قاطعتك بسرعة : «ولكن الفترة لم تكن طويلة هكذا ، كانت سنة أو أكثر بقليل»

: «لا يهم كم كانت ، فأنت تعلمين أنك لن تحتاجي للدراسة وأنتِ معي ، ليس مهماً الآن دعيني أكمل»

: « أسمعك»

: «عندما أخبرتِني الرد شعرت بالإهانة ، ولم أعرف ماذا سأخبر أهلي ، في نفس الوقت كانت قصة سلام ـ عندما سمعها والدها تحادثني ـ قد تأزمت ، لم يخطر ببالي إلا أن أجلعها البديلة عنكِ وأختارها زوجة»

بكل صدمة وذهول واستحقار لما تقول ضحكتُ وأجبتك : «هل أنت بعقلك؟ أم أنك تقول كلاماً دون فهمه؟»

: «لا تتعاملي معي بهذه الطريقة ، هذا ما حدث ، قررت أن أحرق قلبك وأتزوج فتاة بنفس عمرك ، جميلة وذكية وفيها كل الصفات المطلوبة»

: «هذا ما كنتَ تريده وتبحثُ عنه»؟

: «لا ، لكنَّ هذا ما حدث ، والآن أنا أنضج وأفهم أن تصرفي كان خاطئاً ، وأدرك أني ظلمت نفسي وظلمتكِ وظلمت سلام ، لكن بالنهاية أنتِ السبب . . .»

«تمـــام ، عدنا لاتّهامي ، معك حق أنا السبب ، وأحمد الله أني كنت السبب ، لا تحاول إقناعي فهذه الأسباب تافهة جداً . . .»

- «يا فرح ، كان الضغط عليَّ كبيراً من أهلي ، يريدون أن أتزوج ، يريدون أن يفرحوا بأحفادهم ، وأنت تريدين أن أنتظرك سنين!!!!»

زادت صدمتي وعَلَت أصواتنا وبدأ الناس ينظرون لنا باستغراب . . .

بغضب كبير نزلتَ من السيارة ووقفتَ بجانبها مشيحاً بوجهك عني محاولاً تهدأة الوضع .

لزمتُ صدمتي وصمتي وحاولت أن أهدأ ، وإذا بهاتفكَ يرن ، مسكته لأعطيه لك فرأيت اسم المتصل ((عيون المها)) . . .!

لم يخطر ببالي غير سلام بقيتُ أحدّقُ بالشاشة إلى أن انتهت الرنة ، ودون إدراك أو وعي وجدتُ نفسي أبحث في رسائلك ، جميع الرسائل في الهاتف تقريباً من عيون المها ، بدأتُ أقرأ وأنت لا تزال واقفاً تدخّن دون حراك . . .

أول رسالة قرأتها كانت مرسلةً لعيون المها ((والله أحبكِ))

أما الثانية فكانت مألوفة جداً بالنسبة لي وعندما قرأتها سرحتُ بفكري بعيداً وأعادت لي ذكريات كثيرة عشتها معك ، كانت الرسالة : ((بعدها بعيني حلاتك)) ، كنتَ ترسلها لي في كل مرة نتخاصم بها ، وكانت تصلني منك كثيراً في الأيام الماضية كمحاولة لترقيق قلبي!

أليس غريباً أن أراها اليوم مرسلة لغيري؟ ومن هي عيون المها؟

أدرتَ وجهكَ وقررتَ الدخول إلى السيارة فرأيتني أعبث بهاتفك ، فقمتَ بفزع وسحبته مني ، كانت دموعي تملأ عيني لكنها تأبى النزول ، سألتك : «من عيون المها»؟

ركّزتَ نظرك في عيوني ثم أدرت وجهك مجيباً : «إنها سلام»

ضحكتُ بغيظ : «لا يشبه (عيون المها) (رجعتُ لكِ) أبداً . . !؟»

ضحكتَ أنت أيضاً : «هي أسمت نفسها بهذا الاسم ، لكني لم أرَ بحياتي أجمل من عينيها ، يجب عليَّ أن أعترف»

لا أعلم إن كانت محاولةً منكَ لإغاظتي ، لكنك كنتَ محقاً ، فعيون سلام في غاية الجمال!

بحزنٍ شديد سألتك : «عندما اتصلتُ بك صباحاً _بعد رفض أمي_ وأخبرتني أنك عدت لي ، كنتَ ليلتها قد قررت الزواج بسلام»؟

: «نعم هذا ما حدث . . .»

: «أووووووووووه ، كم كنتُ غبية ، أرجوك نسيم هذا يكفي اخرج من حياتي أنا فعلاً تعبت . .»

: «أنا مستغرب حقاً ، لقد كنتُ سبب سعادتكِ الدائم ، وأساس فرحك كنت مستعداً للتحول إلى مهرج فقط من أجل أن أسمع ضحكتك»

: « من؟ أنت!! أنا إلى هنا أشكرك ، تعبَ قلبي من هذه السعادة ، يكفي أرجوك»

: «إذن أعطِني وقتي لأنكدَّ عليكِ ، إنها معادلة بسيطة وهذا حقّي» وبدأتَ تضحك . . .

شعرتُ بالجنون : « أعتقد أني كنتُ أحرث في بحرٍ معك ، أنت خالٍ من أي إنسانية ، وأنا الآن أكرهك بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ . . .»

ونزلتُ من السيارة ، شعرتُ بكل ألم العالم واستغرابه وانكساره ، كم تمنّيتُ أن تكونَ نهايتنا سعيدة ، وكم حلمتُ بحكاية خالية من الخيبات ،

أوجعتني كثيراً اليوم ، وجعلتني أتأكد أنه لا يوجد أي سبب منطقي لزواجك من سلام تماماً كما لم يكن هناك أي سبب لخياناتك المتكررة لي ، يبدو أنكَ لم تحبني أو أني كنتُ مجرد وسيلة للتسلية ، أو ربما كان حبكَ للتّملك قوياً جداً معي؟ حقاً لا أملك أي إجابة!

الآن وأنا أكتب لك بدأت أفكرُ بأمرين أولهما : لو كانت كل فتاة عَرَفتَها كَتَبَت لك كما فعلت أنا ، كم دورِ بطولة كنتَ ستنال؟ مشكلة أن تشعرَ بعد كل هذه السنين أنكَ لم تكن سوى حلمٍ عابر لا قيمة له . . .!

أما الأمر الآخر فكان : كمّية الصدف التي مرّت في قصتنا معاً ، تكاد تكون قصتنا مبنية على الصدف ، تعارفنا ، لقاءاتنا ، سلام ، الكثير من الصدف التي جعلتني أفكّر ما كان الهدف منها؟ ومن قصتنا المؤلمة؟ من معرفتي لك ولسلام ولوفاء؟ ما الهدف؟!

***

أنت الآن في كفة وأحلامي بالنجاة منك ومن حبك في الكفة الأخرى ، إن استغنيت عنها وصلتك ، وإن اخترتها خسرتك مجدداً ، لكنّي لن أختارك الآن ، لن أختارك بعد أن أحرقتَ نصف أحلامي ، لن أختارك حتى تدمّر ما بقي منها ، سأختارها هي وأهرب منك كما علّمتني أنت ، لأنها هي الوحيدة القادرة على إبقائي على قيد الأمل . . . على قيد الحياة ، إن خسرتها مجدداً ستتخلى عني ولن تعود لي مرة أخرى ، سأعيش بلا أحلام ، أي بلا ماضٍ وبلا حاضر ، رغم أنّك تشكل كل هذه إلا أن المستقبل سيكون أكثر إشراقاً لو حذفتك منه منذ الآن ، سيكون أنجح لو اخترت أحلامي وهربت منك ، فأنت وهي لا تجتمعان معاً ، ولا

نجتمع أنا وأنت إلا إذا تخلّيت عنها وأنا لن أفعل . . . لن أعيد خطأي مجدداً ، لن أعيده يا نسيم . . .!

***

حملتُ عودتك وحبي لك ، وغضبي منك وعتبي عليك ، وضبّتها في حقيبتي مع الملابس ، وقررت السفر . . .كنتُ بحاجة للهروب منك ، للابتعاد أكثر حتى أستطيع التفكير بهدوء ، بعيداً عن كل محاولاتك للإقناع وضعفي أمام إصرارك الذي بات قريباً جداً .

ودّعتُ العائلة ورحلت ، كانت هذه أول مرة أسافر فيها ، وأول مرة أبتعد عن المنزل ، عن أمي وأبي وسريري وملابسي وحتى مخدتي ، لم أعتد يوماً على البعد ولم أتذوق طعم الفراق ، رغم أني كنت أعلم أن الفراق لن يطول أكثر من أسبوع ، إلا أن الابتعاد كان صعباً .

أتدري؟ حتى وأنا أغادر شعرت بتعلقي الكبير بكل تفاصيلي معك ، وأدركت كم ساعدت هذه التفاصيل في حبي لكل ما هو حولي ، ليس كله بل فقط بما ربطني بك ، صعدتُ إلى الطائرة وفي عيوني دموع أمي وأبي ، وشوقي لوفاء وحزني لابتعادي عنك ، كنتُ أعلم أن للطائرة رهبة ، لكنّك أقنعتني أن ركوبها أمرٌ سهل ولا يدعو للخوف ، فعندما كنتُ أنظر للسماء مرة أثناء مرور طائرة نزلت دمعتي ، خطر ببالي وقتها الفراق وشعرت بقسوة البعد ، لكنّك عندما سألتني عن سبب هذه الدموع أجبتك أني أخاف ركوب الطائرة ، ضحكت وتعجّبتَ من أمري ، وعاملتني وكأني طفلة ، مسحتَ دموعي وسألت : «يعني لن نسافر شهر عسل؟ يا الله أرحتني من المصاريف»

فرح : «لم أفكّر بالموضوع لكن لا تحلم ، نذهب لمكان لا يحتاج إلى طائرة» .

: «يعني لن أوفّر؟ وأنا اللي فكرت سأرتاح «!!!

: «هل ركبتَ يوماً طائرة «؟

: «نعم ركبتُ مرة ، وأنا صغير» .

: «لم تخف»؟

: «لا ، أقصد نعم ، مممممم»

وضحكت . . .

نسيم : «كنتُ صغيراً كما قلتُ لك ، هي مخيفة . . .لا لا ليست مخيفة ، لا تخيف أبداً صدقيني ولا تنسي سأكون دائماً بجانبك لذلك لن تخافي ، أعدك!»

ضحكتُ على تلعثمك وتغيّر إجابتك ، وكنتُ أعلم أنّك تكذب لكنّي صدقتك ، وها أنا تأكدتُ الآن أنك تكذب أكثر ، فالأكيد أني لو كنت معك كما قلت لي سابقاً لكان ركوب الطائرة كله أمان ، لكنَّ الأمان كان مرتبطاً بك ولم تترك لي منه ولو القليل ، لذلك خفتُ قليلاً لا بل كثيراً عندما أقعلت الطائرة!

لما بدأت أنفاسي تهدأ ، ودقات قلبي تخفف من سرعة خفقانها ، أخذتُ نفساً عميقاً ، وشعرتُ كم كنتُ بحاجة للابتعاد ، فرغم حزني لابتعادي عنك ولو قليلاً ، إلا أني كنتُ مطمئنة أني لن أراك فجأة ، ولن تصلني منك الآن رسالة تبعثر فيها كل سكوني وترميه أرضاً ، أسندتُ رأسي إلى المقعد وأخذت غفوة . . .

«لماذا قصصتَ لي شعري؟ ألم تكن تحبه طويلاً؟ ألم يكن يعجبك؟ ماذا دهاك ؟»

«توقّف يا نسيم ، أرجوك توقّف ، لا أحب أن يكون شعري قصيراً ، أرجوك اترك المقص» بكيتُ كثيراً لكنّك لم تكن تكترث لبكائي ، حاولتُ الابتعاد وسحب المقص منك ، لكنّك كنت تربطني بحبلٍ قوي ، مشدود على قدَمَي وأطرافهُ حادة جارحة فكلما حاولت الإفلات تجرحني الخيوط ويزداد الألم ، لم تكترث ولم تسمع ، فقط كنتَ مصمماً على قصّه ، وهدر دموعي . . .

استفقتُ على يد تمسح على شعري

: «أنتِ بخير»؟

بقيتُ مندهشةً للحظة ، مسكتُ شعري بلهفة ، واكتشفتُ أني أحلم . . .

أجبت : «بخير ، فقط كنتُ أحلم»

: «بسيطة ، المهم أنكِ بخير»

: «شكراً لكِ»

أخذتُ القليل من الوقت كي أستعيد هدوئي وتوازني ، فتحتُ حقيبتي وقررت إكمال قراءة رواية كنت قد بدأت قراءتها منذ فترة بسيطة وتعلّقت بها جداً .

عدلّتَ جلستي وما لبثتُ أن أبدأَ بالقراءة حتى سألتني المرأة التي كانت تجلس بجانبي : «أنهيتِ قراءة هذه الرواية»؟

أجبتها باستغراب : «لا لم أنهها بعد ، لماذا هل قرأتِها»؟

المرأة : «نعم ، فعلت . . . هل تعجبك»؟

فرح : «تعجبني كثيراً وأشعر أنّي تعلقت بها وأودُّ قراءتها في كل وقت»

المرأة : «يبدو أن هذه أول مرة تسافرين بها؟»

فرح : «نعم ، هذه أول مرة ، لم أتعرّف بكِ ،ما اسمكِ»؟

: «اسمي إيرينا»

: «تشرفت بمعرفتك ، وأنا فرح»

: «اسم جميل»

: «ما معنى اسمك؟»

: «إيرينا؟ هو اسم من أصولٍ يونانية ، ومعناه السلام»

بيني وبين نفسي : ألا يكفيني ، حتى هنا سلام . .!!!

: «لكن هل أنتِ يونانية؟»

: «لستُ ، لكنَّ أمي من أصول يونانية»

: «وكيف تعلّمتِ العربية؟»

: «أبي عربي ،لكنه كان مقيماً في اليونان وهناك تزوج بأمي وهو من علّمني العربية»

ابتسمتُ لها وأكملت قراءة الرواية التي اقتربت من النهاية . . .

***

ما كان ذنبنا بالحب؟ وما كان ذنب الحب بنا؟ مؤسفٌ جداً أن يكون الفراق آخر ما لدينا ، مؤلم أن تضيع كل هذه الذكريات هباءً ، فها نحن

نبتعد كثيراً في كل شيء، في التواجد والشعور والأفكار والأحوال، والآن حتى في الأرض، وكل خوفي أن تعود، ويصحو حبك من غفوته عندما أعود...!

***

لم يكن أبي مطارداً لأبطال الجرائد المغشوشين، ولم يكن هاوٍ للرياضة، كان هادئاً محباً لنا، وأكثر ما أُحِبُّهُ فيه وفاءه الكبير لأمي وللبيت، يعشق التدخين ـ نفس الخصلة التي لطالما كرهتها فيك ـ لكنّه الرجل الوحيد الذي وقعتُ في غرام سجائره، وأحببتُ شكله وهو يدخّنها، لكم غمرني بحنانه المتجدد، أخاف جداً من شعوري بالخوف دونه! صعب الشعور ببعده أو غيابه، لا أتخيل الدنيا دون همسة منه، دون نظراته، دون ثيابه المعلقة بكل ترتيب وحرص من أمي، هو أساسي الثابت الذي بُنيتُ عليه، لكنّي أتعبته دون أن يعلم، وأضعتُ حرصه وحبه وخوفه وثقته معك... وليتَكَ كنتَ تستحق ولو جزءاً منها، وليتني لم أفعل...!

لم تفارق صورة والدي خيالي وأنا في الطائرة، ظل أمامي أكثر من أي شيء شعرت بحنيني له، شعرتُ أن الرحلة طويلةٌ جداً رغم أنها لم تبدأ بعد!

عدتُ من شرودي لأكمل قراءة الرواية التي لَمَسَتْ جروحي بحرصٍ حتى وصلتْ لأعماقها ورشّتْ بداخلها ملحاً، جعلتني أتألم من جديد، وكأنّي أعيش التجربة مرة أخرى، فبطل الرواية كان خائناً ويشبهك تماماً، حاكت أحداثها أوجاع قلبي وكل المعاناة التي عشتها معك، وأكّدت لي أنك لن تفارقني أبداً طالما أنك تلمس في قلبي ولو القليل من الحب، مَلأتني بإحساس القوة ودَفَعتني لأول طريقٍ بعيد، كنتُ على مقربة من

المفرق الذي يؤدي إليه ، لكن لم تكن لدي الجرأة لوصوله!

اقتربت الطائرة من الوصول وحان وقت الهبوط ، تسلل إلى قلبي الكثير من الخوف ، الخوف من الهبوط والابتعاد والضياع في الزحمة ، بالفعل خفت . . .

حاولت إنهاء قراءة آخر سطور في الرواية وكانت نهايتها : «اهربي إن شعرتِ بالاختناق ، احبسي آخر نفس ، تمسّكي فيه وغادري ، اركضي كثيراً وتعلّقي بالنجاة ، لا تغرقي مع أول موجة ، تستحقين كل الأمل لا الألم» .

شعرتُ بغربةٍ كبيرة ، وأثارت هذه الكلمات فوضى داخلي ، وأشعرتني بحاجتي الماسة للأمان . . .

هبطت الطائرة ، وبدأنا بفك أحزمة الأمان ، ونَزلت . . .

وصلتُ قاعة الاستقبال حيث كانت وفاء في انتظاري ، ركضتُ إليها باندفاع وقابلتني بمثله ، احتضنتها بشدة وسالت كل الدموع ، وأخيراً وجدتُ الأمان!

نَظَرَت لي وقالت : «فرح؟ لا أصدّق أنكِ هنا؟»

وعادت لاحتضاني مجدداً . . .

تمنّيت لو توقف الزمن ، تمنيت وقتها لو أن الجروح تختفي والناس ترحل ، فقط أبقى مع الأمان والثقة ، مع الراحة التي افتقدتها منذ وقتٍ طويل!

وصلنا المنزل ، تعيش وفاء مع زميلة لها في العمل ، ويبدو أنها اعتادت الغربة وألفت حياتها ، أشياؤها مرتبة وأمورها محسومة ، لا تنتظر

شيئاً إلا العمل ، تحب زميلتها في المنزل وتبدوان متفقتين ، الجميع يعتاد إلا أنا لم أعتد على ألمي بعد ، ولم أصب بمناعة ضده حتى الآن!

شَعَرَت وفاء بتعبي من الرحلة ، هيَّأت لي الفراش لأنام ونامت بجانبي ، كم حلمنا بقضاء الوقت معاً بحرية ، وانتظرنا سرقة الحديث لنا لساعات دون أنَ يأتي من يقول : «هيا للنوم» أو حتى أن تكون كل واحدة فينا في مكان ، تحقق حلمنا وأتت تلك الليلة لكنها أتت وقلوبنا كلها جفاف ، فلم تسرقنا الأحاديث ، ولم يقطع أحدهم ، كان الهدوء هو كل شيء ، ليس بداخلي ما أحكيه ولا يوجد ما تحكيه لي ، وكأن حاجزاً كبيراً نشأ بيننا بسبب البعد!

في الصباح استيقظتُ متعبة كأنّي لم أنم وفاق معي شعور الوحشة ، وجدتُ وفاء فائقة قبلي ، حضّرت الفطور الذي تخلله كل ما أحب ، وحاولَت إعادتي لكل الدفء الذي عشته معها . .

بدأ هذا الحاجز يتلاشى تدريجياً عندما بدأت تحكي لي عن طبيعية حياتها ، رغم أنها كانت قد حدثتني عنها مسبقاً إلا أن الأمور تكون أوضح وهي أمامي وتحكيها .

في هذا الأسبوع ، شعرتُ كم كنت بحاجة للصداقة ، ولوجود وفاء ، وأدركت حجم وحدتي والفراغ الذي تَركَتهُ لي بعد سفرها ، أيقنتُ أني أضعت نفسي بين ثنايا حكايتك وبقيت وحيدة ، لا أنا وجدتها بعد ما فقدتها ، ولا هي وجدت لنفسها مخرجاً من هذه الحكاية!

مرَّ الأسبوع بسرعة ، وأضفته لذكرياتي ، لكني لن أكتبَ لك عنه أكثر ، فأنا أعلم مدى كرهك لوفاء ، وعدم تشوّقك لقراءة أي شيء عنها!

ودّعتـهـا ، وتركتُ خلفي حـاجتي لها ، وتعلّقي الذي بدأ يعـود . . .
وعدتُ لما كان وحدي!

وبدأت رحلة العـودة . . .العـودة لكـل مـا تركتُ خلفي ، جلستُ في الطائرة وحاولت تفادي الخوف ونسيانه واستطعت ، اعتدلتُ في جلستي ، مسكت القلم وبدأتُ أكتب . . .

: «في بلادِ وفـاء ، الطقس حـار ، والوجـوه غـريبـة لا يعـرف أحـدهم الآخر ، في بلادهم المسافاتُ القصيرة طويـلةٌ جداً ، والدروب المزدحمة ، خاليـةٌ لأبعد الحدود ، الشمس في بلادهم تسرق لونها وتحاول التشبُّه بشمس أرضنا العسجدية ، غيومهم هاربة ، وطيورهم باتت تكره الرجوع!

لم أستطع عشق أرضٍ غير أرضي ، أو زرعاً غير زرعي ، أو حبـاً ، أو حتى ريحاً إلا من عطر أرضي ، فحب الأرض بداخلي ثابتٌ ولا يُشوَّه ، حبي لها تغلغل في جذورها ، سقاها من اشتياقي حتى ارتوت وتركت بي كل عطش التراب لبحارها!

في بلادهم ، شعرتُ أن مصطلح الغربة مر ، لكنه ليس كاف للتعبير عن مرارتها ، كيف استطاعت وفاء التحمل؟ كيف أحبَّت تلك السماء؟ كيف تأقلمت مع أصوات العصافير المُقَلَّدَة؟ أهي بالفعل مُقلَدة؟ أم أني أنا فقط التي أحبُ بهذه الطريقة؟ أنا الوحيدةُ التي لا أرتوي إلا من نبع واحد مهما جربتُ الكثير . . .؟

إلى أين تأخذني يا قلم؟ ألم تتعب بعدُ من الكتابة؟ ألم يحن وقتُ راحتك؟ ألم ينفذ حبرك؟ ألم يرحل صبرك هرباً من كل الألم الذي تخطه؟ ألم تنهيك كتاباتٌ لن تصله أبداً؟ إلى أين تأخذني بعد يا قلم؟

ها أنتَ تشيخ وعمركَ يكبر ، فحبرك بدأ بالنفاذ ، تماماً كحبنا الذي غزا

رأسه الشيب ، وشـــاخ جداً ، أشعرُ بهرمه ، وتعبه ، وحاجته الكبيرة لعصاً يتكئ عليها ، أشعر أني مللته ، وملَّ هو منا ومن تفاصيلنا المعقدة ، كل هذه المشاعر ، تأكّد لي قرب موته ، وحلول النهاية . . .» .

وعـدتُ للوطن ، لأرضي لأمي لأبي لوجـعي واشـتـيـاقي ، وعـدتُ لك . . .! رغم كل شيء عــدتُ لك مــحــملةً بكل أنواع هدايا الحنين الفـاخرة ، والشـوق الحارق والدموع الخـائنة! عـدتُ مـجـدداً لصـراعي مع الوقت ، ومع النسيان . . .!

كلُ شيء لا يزال كـمـان كـان ، صـوتُ أبي ، رائحـة أمي ، غـرفـتي ، عملي كل شيء ، رغم شعوري أن الأسبوع دهر وفي الدهر يتغير الكثير ، إلا أني وجدتُ كل شيءٍ على حاله السابق ، وأنت ازددت بعداً وقسوة!

بعد عودتي بيومين قررتُ الخروج من المنزل أردتُ الهواء ، الكثـير من الهواء ، لأني تعبت من الأكسجين المزيف هناك ، المحمَّل بالشحوب!

ذهبتُ لحديقتنا ، لم أدرك مدى اشتياقي ذاك إلا عندما وجدتُ كل الطرق تشبه طريقها وتقودني لها ، ركنتُ السيارة عند البوابة ، ودخلت . . .

وإذا بالصدفة تلعب دورها مجدداً فوجدتكَ هناك!

كنتَ تجلس بين دخان سجائرك ، على نفس المقعد الذي لطالما شهد قصصنا ، اقتربتُ منك ولم أتحدث طالعتني بصمت وتابعتَ تدخينك .

ما هذا القدر؟ لماذا يصمم على جمعي بك في كل لحظة؟ أليس هو نفسه من فرَّقنا؟ أليس هو من أحكم القبضة على بعدنا؟ لماذا يعيدنا كل لحظة للخلف ألف خطوة؟

دعني أنظر في عينيك ، دعني ألمح نفسي فيها ، ماذا فعل بي الزمان داخلها؟ كيف أصبحت صورتي؟ أراكَ اليوم رجلاً أكبر ، فشكلك قد تغير

كثيراً وأنت تدخن ، مرّت سنين على أول لقاء لنا هنا ، هل يا ترى تفكر في ما أفكر؟ أم أنك لا تراني الآن؟ لماذا كل هذا الصمت؟

ابتعدتَ قليلاً وفسحتَ لي المجال لأجلس ، جلستُ بجانبك ، ولزمتُ صمتي الأول نفسه ، ولزمتَه معي!

شعرتُ بكل جبال الأرض تُطبق على قلبي ، شعرتها تثقلني وتشدني لك ، توسدتُ كتفك وأسندتُ رأسي إليه بقوة وتعب ، وأنت لا تزال على حالك ، لم تحرك ساكناً!

بقينا على هذا الحال مدة ساعة تقريباً ، لا أدري إن كانت أكثر أو أقل ، لكنه لم يكن وقتاً كافياً لأُشبعَ حنيني من رائحتك ، وأخيراً همست :

«اشتقتك يا شقا عمري ، أعرفتِ الآن لماذا أسميتك بهذا الاسم؟»

: «ألن تغيرهُ أبداً؟»

: «يبدو أنه لازمكِ للأبد في داخلي ، داخلي الذي شاخ في انتظارك ، هرم وهو يصيح بِحُبِّكِ ، وستبقين عذابي للأبد ولعنتي التي لن تفارقني ما حييت وحبي الذي لا ينكسر ، لكننا لا نتفق ، سنبقى غرباء ما حيينا حتى الموت!»

ونهضت . . .دستَ على بقايا سيجارتك ، بعدما أخذتَ غايتك منها ورميتها ، ودستَ على ما تبقّى من حبٍ داخلي ، ورحلت . . .!

وكانت هذه آخر مرة رأيتك فيها ، آخر مرة شممتُ عطرك ، آخر مرة توسّدتُ كتفك ، ولا أدري إن كنتُ سأراكَ ثانيةً؟ إلا أنها كانت الأخيرة والأكثر إيلاماً . . .!

بقيتُ جالسة في مكاني ولم أتحرك ، أخذتني أفكاري لبعيد ، وأتعبتني من كثرة التنقل ، وخطر ببالي كل ما مضى . . .

فكّرتُ بموقفك ، وكلامك الذي قلته ومضيت! ما كان ذنبي بك؟ ما الذي فعلته لك حتى تهشّم أحلامي وعمري معك؟ أليس هذا عمري الذي ضاع؟ أليس هذا قلبي الذي احترق؟ أليست هذه دموعي التي جفت؟ ألستَ أنت السبب؟

وأنا جالسة تذكّرت :

مرة اتصلتَ بي وأنا في العمل ولم أجب على اتصالك ، وعاودتَ الاتصال مجدداً ، مرة ومرة ومرة ، حتى مللتُ من صوت الهاتف وأغلقته ، كنتُ لا أرغب في البكاء داخل العمل ، وعند انتهاء الدوام وجدتك تجلس على سيارتي وتنتظر . . .

اقتربتُ مستغربة وسألتك : «لماذا تجلس هنا؟»

: «أنا حر، لماذا لا تجيبين على اتصالي؟»

: «هذا ليس شأنك» .

بغضبٍ وقوة مسكتني من يدي وأسندتني للسيارة ، مسكت وجهي بيدك القوية مع نظرة غضب حادة وقلت :

«لن أسمح لك بالابتعاد ، لن تكوني لغيري أبداً ، وإن حاولتِ سأدمّرك ، ولو تطلّب الأمر أن أدوسك تحت أقدامي سأفعل!»

ذعرتُ جداً ولم أفهم سبب انقلابك علي ، لم تسمح لي بالرد عليك ، رغم أني لا أجد ما أقوله!

تركتني ومضيت ، ولم يكن بوسعي بعدها إلا البكاء!

كانت هذه أول مرة يعاملني فيها أحد بهذه القسوة ، حتى أبي لم يضربني يوماً أو حتى لم يشعرني بقسوته ، أما أنت ففعلت وكسرتَ أنوثتي وثقتي ، لكن الغريب أن حبي لم ينكسر يوماً ، ولم يتغير . . .!

***

لماذا تفعل بي هذا؟ لماذا تجرحني وتتركني أنزف حتى آخر نقطة ، وتعود لإسعافي وجرحي مجدداً؟ لماذا تصمم على إذاقتي نفس الألم أكثر من مرة؟؟

لقد كنتَ ضعيفاً جداً لدرجة أنك لم تستطع الاحتفاظ بي في حياتك ، رغم رغبتك بهذا أكثر من أي شيء في الدنيا إلا أنك لم تستطع! أنتَ جرّبت وتعلمت وعشت تجاربك الكثيرة في هذه الحياة ، أما أنا فلم أستطع رؤية الحياة إلا من زجاج عينيك ، لم تسمح لي بعيش شيء غير الذي أعيشه من خلالها ، ولكم كنتَ أنانياً بهذا ، دائماً ترى أن سعادتي بجانبك ولا يمكن أن يسعدني أحد غيرك ، مع أنك تعرف أن الذين أحبوني كثر ، وربما أحبوني أكثر منك ، إلا أن غرورك وأنانيتك لم يسمحا لك برؤية سعادتي المفترضة إلا معك ، ولم أكن أعرف على ما تستند بهذا؟!

قادتني أفكاري للبعيد ، للغضب والثورة لم أثر عليك ، بل ثرتُ على نفسي وعلى ضعفي ،كيف تقبّلتُ كل هذه القسوة منك؟ كيف تعايشت مع كل ما مضى؟ نعم تأخرتُ كثيراً ، لكني بالنهاية قررتُ الثورة ، قررت أن أحاكم نفسي وأبتعد عن الألم ، وأخيراً قررت ، وعليَّ الآن فقط أن أنفذ . . .

ألفظ أنفاسي الأخيرة ، وعليَّ التشبُّث بالأمل ، قررت تطبيق نهاية

الرواية التي قرأتها . . . عليّ أن أهرب . . .

عليّ أن أهرب قبل أن أدمي عقلي بالتفكير أكثر!

***

لم أزر البحر منذ كثير من الوقت ، أحب لونه وبعده وكبره ، أحب جماله وغدره ، أحب وضوح قوانينه وصرامتها ، أحب حبه جداً . . .

اليوم زرته وفي نيتي كتابة آخر سطرٍ لك . . .

لطالما زرت هذا البحر وحدي وكتبت على شاطئه حرفك كنت أكتب حرفك وحده دون حرفي وكأنَّ شاطئ البحر حتى كان رافضاً هذه العلاقة ، لطالما تمنيتك في سري وأرسلت أمنياتي مع الأمواج ، لأول مرة اليوم أزور البحر دون هذه المشاعر ، أزوره وحدي لكنّي بعقل آخر وقلب جديد ، ولآخر مرة سأزوره وأنا أكتب لك . . .

أحضرتُ معي صندوقي الأحمر الصغير وأود إهدائه للبحر ، ربما سيكون البحر أكثر حرصاً الآن مني عليه ، يعزُّ عليَّ فراقه وأجمل ذكرياتي معه ، لكنَّ هذا هو حال قصتنا!

أعلم أن حبك عميق وعنيد جداً ، ويصعب اقتلاعه لكن التحدي وجب عليَّ الآن ، ولا مكان للتراجع . . .!

فكما جرَّبتَ أنت الحياة ببعدي ورجعت نادماً ، حان دوري لأجرب ، وكما عشتَ تفاصيلك الكثيرة دوني وبمشاركة غيري ، حان دوري لأعيش ، كما جنيتَ ما زرعت أريد أن أجني ، لكنّي بالتأكيد لن أكون مثلك يوماً فأنا الآن أقوى وأنقى وأكبر . . . أنا الآن مصممة على العيش ، أبحث عن التفاؤل والنجاح حتى لو كان بعيداً عنك ، بعيداً جداً .

نعم أحببتك ، نعم أدمنت رجوعك إلا أني لن أبيع أحلامي مجدداً ، وسأكمل حياتي بعيدةً عنك وعن آلامك ، سأكملها بفرح كبير ، وأمل أكبر يتلاءم مع ما رسمته لي أمي وحلم لي به أبي ، لن أخذلهما مجدداً ولن أخذل أحلامي ونفسي أيضاً . . .

أعلم جيداً أني لم أستطع إلا تكريس الألم بما كتبته لك ، وأعلم أيضاً أني حاولت جعل نهايتنا سعيدة بكل الطرق لكنني فشلت! وأفكر الآن بكلماتك عندما كنتَ تقول : «غيابكِ أقوى من حضورك» وأحاول الوصول للمعنى الذي أردتَه منها . . .

لن أكتبَ لك مرة ثانية ، وأتمنى أن تتجه لشواطئ أخرى فسفينتي بيديك أغرقتها . . .!

اقلب هذه الصفحة وابحث عن نفسك في صفحة أخرى ، مع امرأةٍ أخرى ، ربما سيكون لك فيها سطرٌ أو سطور ، أما أنا أنهيتك وأنهيت هذه القصة ولن تكون بين سطوري مجدداً . . .! أعدكَ بهذا يا نسيم . . .

فرح

هناك . . . على ذلك الشاطئ الميّت . . .

وُلِدَت حياةٌ جديدة ،

وأمل جديد ،

وفتاةٌ أخرى . . .!

رهام كنعان

ما أحلى الرجوع إليه

لم أكن أدرك معنى البكاء على الأطلال قبل هذه اللحظات، لكنّي الآن أبكي عليها، أبكي على أطلال قلبي الذي لا أدري إن كنتُ أضعته معك أم أضعته فيك؟ فلكم كنت جباراً قوياً !

أتعلم؟ "لا شيء أقسى من الانتهاء"، بالفعل لا شيء أقسى! اليوم، وفي الذكرى السابعة للقائنا الأول، قررتُ أن أكتبَ لك... سأكتب كل ما لم أستطع قوله، سأسألك كل الأسئلة التي لم أجد لها إجابات.

هنا سأروي قصتنا وذكرياتنا بحُلوها ومُرّها، هنا سأخلد حبنا إلى الأبد، فربما يأتي ذلك اليوم الذي تقرأ فيه ما كتبت...




ISBN 995774380-5



دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
ص.ب 712577 عمان (11171) الأردن
هاتف 877 4655 فاكس 875 4655 6 962+
www.darkonoz.com
dar_konoz@yahoo.com info@darkonoz.com
Cover Design By Mohammad Ayyoub 00962 79 878 9591

2004 - 2014 10th
عشرة أعوام من التميز